التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 160 السنة التاسعة عشر - مارس 2021

المرأة العربية: صعوبة المهام وجسارة الكفاح

09 التغيير الوزاري.. لماذا وكيف؟!

11 الشفافية فى ملف التقاعد والمتقاعدين

25 حامل في زمن «كوفيد»

موقفنا

نحن والسياسة الأمريكية

مع تغيّر الإدارة الأمريكية، وعودة الحزب الديمقراطي إلى السلطة، وإعلان الرئيس الجديد جو بايدن عن مراجعات واسعة في سياسة سلفه الجمهوري دونالد ترامب، تسود في العالم العربي، بما فيه منطقتنا الخليجية، مجموعة من الأوهام من جهة، والمخاوف من جهة أخرى. الأوهام بأن الإدارة الجديدة ستظهر اهتماماً أكبر بالصراع العربي – الصهيوني، وتمارس ضغوطاً على إسرائيل لبلوغ حل للقضية الفلسطينية، أما المخاوف، ذات الطابع الرسمي غالباً، فتنحصر في خشية أن تمارس إدارة بايدن ضغوطاً على الأنظمة لتغيير بعض سياساتها.

الواهمون والخائفون على حد سواء، يغفلون عن أمر مهم، هو نفسه الذي ندعوه ب"ثوابت" السياسة الأمريكية على المستوى الخارجي، وهي ثوابت تضعها وتحميها المؤسسات الراسخة في البنية السياسية في الولايات المتحدة، التي تشكل ما يوصف ب"الدولة العميقة"، مثل البنتاجون و"سي. آي. إيه" وحتى وزارة الخارجية، فضلاً عن أن هذه السياسة محكومة بالتوازن الدقيق في تشكيلة مجلسي النواب والشيوخ، اللذين يشكلان معاً الكونجرس الأمريكي.

لقد حاول الرئيس السابق، ترامب، الخروج عن بعض، فقط بعض، تلك "الثوابت"، لكن ما نشهده اليوم يؤكد أن هذا أمر صعب جداً، إن لم يكن مستحيلاً، ففي خلال أقل من شهر على ولاية بايدن أعلن إلغاء سلسلة من قرارات ترامب، وأخضع بعضها للمراجعة والدرس، ما قد يؤدي إلى إلغائها أيضاً أو إدخال تعديلات عليها. وما يفعله بايدن هو، بالضبط، العودة إلى تلك "الثوابت" المحمية من أجهزة الدولة العميقة.

وعلينا أيضاً ألا ننسى أن "خروج" ترامب على بعض مألوف السياسة الخارجية لبلاده، لم يكن في جوهره، سوى المضي ببعض ثوابت تلك السياسة إلى حدودها القصوى، خاصة على صعيد الإنحياز لإسرائيل والعداء للحقوق المشروعة للعرب وابتزازهم مالياً، فنقل سفارة بلاده إلى القدس واعترف بالإحتلال الصهيوني للجولان السورية، وهذا بعض ما لم يعلن بايدن التراجع عنه، كأن ترامب أراح الديمقراطيين بتنفيذ رغبات الدولة العميقة.

غاية القول إن علينا، كخليجيين وكعرب، أن نصوغ السياسات النابعة من مصالح أوطاننا وشعوبنا، وتقوية الجبهات الداخلية لبلداننا، وإشراك الشعوب في صوغ تلك السياسات، والاستجابة لتطلعاتها المشروعة، وتجنيب بلداننا المخاطر المحدقة بها، عبر سياسة إقليمية ودولية متوازنة، لا تلقي البيض كله في السلة الأمريكية، لأن الرهان على أي إدارة أمريكية، جمهورية كانت أو ديمقراطية، هو من قبيل الوهم الذي تكشف عنه التجارب.

التقدمي

أكدّت على أهمية الملف المعيشي والاقتصادي

مركزية التقدمي: المرحلة المقبلة تتطلب توافقاً سياسياً وإصلاحات ملحّة

دعت اللجنة المركزية للمنبر التقدمي إلى مواجهة تحديات المرحلة المقبلة من العمل الوطني بإيجاد توافق سياسي وانفتاح أكثر رحابة على قوى المجتمع، بما فيها القوى السياسية المعارضة، وشددت في بيان لها على أهمية إنهاء المراوحة حيال العديد من الملفاّت العالقة للوصول إلى ما يحقق تطلعات المواطنين، وقطع الطريق على من لا يريدون المصلحة لشعب البحرين.

وأكدّت اللجنة المركزية على "أن المرحلة المقبلة تتطلب إجراء إصلاحات ملحة على أكثر من صعيد، يأتي في مقدمتها توسيع صلاحيات المجلس النيابي في الرقابة والمساءلة والتشريع، والتعاطي الأمثل مع ملف التقاعد والمتقاعدين الذي بات يؤرق الكثير من المواطنين"، معربة عن: "خيبة الأمل من التعديلات التي طالت قانون التقاعد ونالت من مكتسبات المتقاعدين وأشاعت في أوساطهم الكثير من عوامل التوجس والقلق، مجددة موقف التقدمي الرافض لأي مساس بحقوق المتقاعدين، ودعت النواب إلى اتخاذ موقف ثابت حيال هذا الملف، وطرح المشاريع البديلة لمواجهة بواطن الخلل والفساد وكل المسببات التي أفضت إلى هذه النتيجة المؤسفة في إدارة هذا الملف طيلة السنوات التي مضت".

ونوهت اللجنة المركزية ب "تصريحات سمو رئيس الوزراء الداعية إلى تعميق دولة المؤسسات، وحكم القانون وترجمة الأمانة الوطنية التي ترتكز على شرعة حقوق الإنسان، والحريات العامة، والشفافية والمحاسبة والبناء الديمقراطي"، مشددة على أن: «التقدمي سيظل داعماً لكل التوجهات التي تحمل الإصلاح والتي لابد أن تمضي مقرونة بالإرادة اللازمة بالقوى الداعمة لتحقيقها وبوعي كامل لآلية تحقيق ذلك بالحكمة والتبصر وبالفكر المستنير والرأي الرشيد".

على صعيد متصل، أبدت اللجنة المركزية دعمها لمسيرة العمل المشترك بين الجمعيات السياسية في مختلف القضايا والملفات الوطنية ذات الإهتمام المشترك، مشددة في الوقت ذاته على: "أهمية تعزيز أوضاع الجمعيات السياسية في الفترة القادمة ومعالجة العقبات التي تواجه العديد منها خاصة بعد توقف الدعم المالي لها وتراكم الأعباء المالية عليها مما أدى إلى إغلاق مقار بعضها"، داعية إلى "معالجة هذه الأوضاع وإعادة الدعم المالي لها لكي تقوم الجمعيات السياسية بدورها بالشكل المطلوب في الفترة القادمة".

واعتبرت اللجنة المركزية للتقدمي أن: «الملف الاقتصادي من أهم الملفات التي يجب أن تحظى باهتمام استثنائي من قبل الحكومة والمجلس النيابي وكل القوى لضمان حسن معاينة الوضع المالي والاقتصادي والخروج بنتائج لا تؤدي إلى المساس بحقوق ومكتسبات المواطنين، وتعالج بمنتهى الجدية القضايا والملفات التي تهم المواطن"، مشددة على: "ضرورة تكثيف الجهود ورسم الخطط المدروسة التي من شأنها رفع أداء العديد من القطاعات وفي المقدمة منها التعليم، والصحة، وسوق العمل، والسكن، والعقارات، وبحث كل ما يُولد فرص عمل حقيقية للمواطنين، ويجعل المواطن البحريني فعلياً الخيار الأول للتوظيف، ويقيم منظومة شاملة ومتكاملة للضمان الاجتماعي ضد البطالة وكل أشكال ومظاهر الفقر والعوّز، ويكفل للمواطن العمل والسكن والأمن المستدام في الصحة والتعليم والطاقة".

كما أكدت اللجنة المركزية على: «أهمية إعادة النظر في سياسة خصخصة القطاعات وتخلي الدولة عن دورها في الاقتصاد والخدمات وتوفير الأمن الاجتماعي، وتحذر من تبعات ذلك على حاضر ومستقبل المواطن".

نددت بجرائم الكيان الصيوني في الأراضي المحتلة

التقدمي يدعو إلى نبذ الكراهية والتطرف والولاءات الضيقة

شدّد المنبر التقدمي على رفض كل ما يسئ إلى المعاني والقيم الإنسانية ويفاقم من صور الفقر والبؤس والحرمان، والإقصاء والتمييز، والتهميش، والاضطهاد والظلم وسلب حقوق الإنسان.

جاء ذلك في بيان للتقدمي بمناسبة اليوم العالمي للأخوة الإنسانية الذي اعتمدته الأمم المتحدة بدءاً من العام الجاري، بهدف إيقاظ الحس الإنساني بنشر قيم التسامح والتعايش ورفض التمييز ونبذ الكراهية وكل أشكال التعصب والعنصرية وتعزيز الحوار البنّاء بين الأديان واحترام الثقافات.

واعتبر التقدمي بأن: «استخدام الدين في تأجيج الكراهية والتطرف والتعصب الأعمى والإتيان بما لا علاقة له بالدين، والمساس بالنسيج الوطني بأي شكل من الأشكال، من أجل تحقيق أهداف سياسية وطائفية وانتهازية وغيرها من الأهداف التي لم تحقق سوى كوارث مفجعة هناك من يذكيها ويستفيد منها متجاهلين أن اختلافاتنا الفكرية والسياسية والطائفية لا تبرر القنوط والسلبية، بل أن هذه الاختلافات لابد أن تكون مصدر قوة وتماسك والتحرر من قيود الأنانيات والولاءات الضيقة ودافع لعجلة التغيير دون عوائق، كما هو دافع للتذكير بضرورة التزام الحكومات بالاتفاقيات الدولية وخاصة المتعلقة بمحاربة الفساد وتعزيز التضامن لتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية بما في ذلك القضاء على الفقر».

على صعيد متصل، ندد التقدمي بما «يرتكبه الكيان الصهيوني من جرائم تطهير عرقي في فلسطين المحتلة، وممارسات عنصرية تروّع النفوس وتفتك بأرواح الفلسطينيين»، معتبراً ذلك أحد أهم وأخطر الممارسات وأكثرها شراسة والتي تضرب كل المعاني والقيم الإنسانية من جانب دولة الاحتلال الصهيوني ومنها حزمة القوانين والتشريعات والقرارات التي تستهدف الشعب الفلسطيني، وفي المقدمة منها «قانون القومية» الصهيوني العنصري التهويدي»، داعياً مختلف دول العالم إلى «وقفة حازمة ضد كل الانتهاكات التي ترتكبها الصهيونية في الأراضي الفلسطينية المحتلة».

جبهة التحرير الوطني ـ البحرين

66 شمعة تضيء الوطن

2021-1955

جبهة التحرير الوطني: 66 عاماً شعلة لا تنطفئ

أحيا المنبر التقدمي الذكرى الـ 66 لتأسيس جبهة التحرير الوطني في البحرين (جتوب)، حيث قال في بيان له بهذه المناسبة بأن: «ذكرى تأسيس (جتوب) يمتد عمقها بعمق الحراك اليساري في البحرين»، لافتاً إلى أن: «هذا التنظيم تأسس من بين متاريس المصانع وخاض طريق صعب قارع فيه الاستعمار، وقدم من اجله رفاقنا جل حياتهم، وكان لهم بيوت أخرى غير بيوتهم هي أقبية السجون وزنازين المعتقلات»، وتابع: «تركوا بصماتهم في كل المحطات في المعامل والمصانع في الأسواق وفي البيوت المعدمة والأهم من ذلك بصماتهم في قلوب الناس وآمال الفقراء».

وأشار البيان إلى أنه: «رغم كل ما كابده الرفاق ودفعوا له أثماناً من حياتهم وقوت أطفالهم إلا أن صبرهم لم ينفد، يتناقلون شعلة (جتوب) من جيل لآخر ومنها إلى المنبر التقدمي الذي شارف في مسيرته العقدين من الزمن، مصممين أن نمضي بلا كلل أو ملل نحو غد نؤمن أننا سنصل إليه».

66

تعزية

تتقدم «التقدمي» بصادق العزاء والمواساة للزميلة بتول حميد بوفاة شقيقتها، رحمها الله وأحسن مثواها، وألهم عائلتها وكل محبيها الصبر والسلوان.

فضفضة

مطر صيف

عيسى الدرازي

كلمات الأغنية العراقية الجميلة، «حجيك مطر صيف» للراحل الكبير فؤاد سالم ولمؤلفها الشاعر ناظم السماوي، تحمل في مضامينها معاني الحضور والغياب في آن، حضور المطر وغياب تأثيره بسبب حرارة شمس العراق الساطعة.

وكذلك، صار الحديث عن تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية لا يعدو كونه «مطر صيف»، حيث تصدر التقارير وتُحال للجان وزارية لدراستها، ويتم انتقاء بعض ما جاء فيها وإعادة توجيهها للنيابة العامة، وفيما بعض الملاحظات فإنها تذهب إلى لجان الجزاء الإدارية.

وقد رفضت لجنة الشؤون المالية والاقتصادية بمجلس الشورى في العام 2018 إلزام ديوان الرقابة المالية والإدارية بإحالة ما يراه من مخالفات ترقى لمستوى الجناية للنيابة العامة، وأصرّت اللجنة الشورية على «جوازية» الديوان لرفع المخالفات للنيابة العامة دون «وجوبيتها».

وبررت اللجنة ذلك بأن «إلزام ديوان الرقابة المالية والإدارية إحالة المخالفات التي تنطوي على شبهة جنائية يعني إحداث خلل جوهري في عمل الديوان، إذ من شأن ذلك تحويله من جهة رقابة وتدقيق إلى جهة تحقيق، وهذا أمر تختص به النيابة العامة ويختلف عن دور الديوان المتمثل في الرقابة والتدقيق».

لمعالجة ما ذهبت إليه اللجنة الشورية، هناك تجربتان خليجيتان سعودية وكويتية، ففي الدولتين الشقيقتين استحدثت جهة مستقلة محايدة مهمتهما «حماية النزاهة وتعزيز مبدأ الشفافية، ومكافحة الفساد المالي والإداري»، و»درء مخاطره وآثاره وملاحقة مرتكبيه وحجز واسترداد الأموال والعائدات الناتجة عن ممارسته وفقا للقانون».

ولعلّ هذا ما نحتاج نحن إليه تحديداً، جهة مستقلة ومحايدة يكون تأسيسها من الجهات ذات الاختصاص قضائياً، والمعنيين من ممثلي مؤسسات المجتمع المدني العاملة في ذات المجال، تكون مهمتها دراسة تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، ولكونها جهة ذات استقلالية فإن ذلك سيضمن سرعة النظر في تلك التقارير واتخاذ اللازم بديناميكية. كما يمكن أن يُعهد لها مهمة استلام بلاغات شبهات الفساد أياً كان مصدره، وهو أمر لا يمكن أن يتحقق على أرض الواقع حالياً لتضارب المصالح وتداخل الاختصاصات بين مختلف الجهات المعنية بالرقابة وتتبع بلاغات الفساد.

إيجاد جهة مستقلة تعنى بالنزاهة بحرينياً أسوة بنظيرتيها في السعودية والكويت، وفق أسس الحياد المهنية وبما يضمن المساءلة للجاني وحفظ هوية وحقوق الكاشف عن تلكم الممارسات التي امتلأت بها صفحات تقارير ديوان الرقابة المالية، قد يسهم في إعادة ثقة الرأي العام في أهمية وجود ديوان الرقابة والمالية والإدارية بصفته حامي المال العام وحصانته.

المحامي حسن اسماعيل:

طريق «الميثاق» إلى نظام سياسي ديمقراطي اعتراه الكثير من المعوقات

قال عضو المنبر التقدمي المحامي حسن علي اسماعيل بأن: «التقدمي كان خلال الفترة الممتدة منذ تأسيسه وحتى الفترة الراهنة في مقدمة صفوف القوى الوطنية، بتقديم مرئياته المتميزة حول مختلف التشريعات والقوانين المتعلقة بالحقوق والحريات العامة، وعقد لها العديد من الورش والندوات، وتقدّم بها للمجتمع وللسلطة التشريعية».

وأشار في ندوة له بعنوان «الحقوق والحريات السياسية في ظل الميثاق والتشريع»، ضمن ملتقى التقدمي، إلى أن: «التقدمي يرى، وكما جاء في برنامجه السياسي أنه (على الرغم من أهمية ما أنجز سياسياً منذ بدء مشروع الإصلاح إلا أن الطريق نحو استيفاء شروط الملكية الدستورية ما زال طويلاً)».

واعتبر اسماعيل بأن: «مؤسسات المجتمع المدني ومنها الجمعيات السياسية مارست في بدايات فترة الميثاق نشاطها نحو تحقيق أهدافها وطرح برامجها خلال تلك الفترة بحرية وعقدت مؤتمراتها الحزبية ونظمت وشاركت في مؤتمرات الحوار الوطنية الخاصة بها أو تلك التي نظمتها الحكومة، وشاركت ونظمت المسيرات والتجمعات رغم القيود التي سنت في التشريعات التي تنظم عملها، ومنها قانون الجمعيات السياسية وقانون بتعديل بعض أحكام المرسوم بقانون بشأن الاجتماعات العامة والمسيرات والتجمعات»، وتابع :» كما شاركت في الانتخابات النيابية والبلدية رغم ما كان يعتري النظام الانتخابي من عوار وعيوب جاء بها المرسوم بقانون مباشرة الحقوق السياسية والمرسوم بقانون بشأن مجلسي الشورى والنواب، وعيوب أخرى اشتمل عليها مرسوم تحديد المناطق، والدوائر الانتخابية رقم (29) لسنة 2002».

وأشار اسماعيل إلى أن: «الطريق إلى إقامة مثل هذا النظام السياسي الديمقراطي بالمواصفات التي تحدث عنها ميثاق العمل الوطني قد اعترته الكثير من المعوقات، أدت إلى عدم توافر الأسس الأولية التي تحكم التحول الديمقراطي، إذ غابت المسئولية المشتركة بين السلطة ومؤسسات المجتمع المدني لوضع هذه الأسس، وأهمها الأسس المتعلقة بتعزيز العدالة الاجتماعية وتوسيع المشاركة الشعبية، واحترام حقوق الإنسان، وما يتطلبه ذلك من إزالة إرث القوانين والتشريعات الثقيل التي ورثناها من الحقبة السابقة، ووضع تشريعات وقوانين جديدة تساعد على تطور المجتمع نحو الديمقراطية المنشودة تمكنه من خلق مؤسسات المجتمع المدني المختلفة التي تتلاءم والنظام الديمقراطي، من جانب أخر لم يكن لدى بعض قوى المعارضة السياسية استعداد للوصول لحلول وسط تؤدي إلى حل الصراعات بطريقة سلمية، لأن ذلك نحسبه شرطاً لازماً من شروط أخرى لازمة لأي تحول ديمقراطي».

وأوضح اسماعيل بأنه: «ليس في مقدور المتابع للشأن السياسي في البحرين أن يتجاهل أن السلطة التنفيذية بدلاً من أن تعزز الحريات النسبية التي تحققت في ظل المشروع الإصلاحي وتطويرها، وضعت العديد من القيود على ممارستها، ولم تستجب لأي تعديل دستوري حقيقي يعالج ما كشف عنه واقع الفصول التشريعية للحياة النيابية من قصور تشريعي ورقابي أو تعديل للنظام الانتخابي يعالج ما شابه من انعدام في العدالة والمساواة، وهي بذلك لم تجعل من مؤسسات المجتمع المدني المسجلة والمعترف بها بما فيها الجمعيات السياسية شريكاً لها في بناء الدولة الحديثة، وأصبح الهاجس الأمني هو السائد لديها في علاقاتها مع هذه المؤسسات».

على صعيد متصل، قال اسماعيل بأنه: «لا يمكننا أن نتجاهل أن القوى السياسية لم تكن قادرة على إدارة الصراع باتفاق يُوحدها في المشتركات وفي قراءة الواقع السياسي الذي تكوّن بعد إقرار الميثاق وفي ظل صدور دستور2002، ولم تكن موحدة في المشاركة في الانتخابات النيابية والبلدية». مشيراً إلى أن: «جمعيات الإسلام السياسي لم تدرك ولم تتقن أهمية العمل السياسي كفن في حدود المتاح يراعي ميزان القوى، ولم تدرك أهمية وضرورة التحالفات كركيزة من ركائز التحول الديمقراطي، إذ على الرغم من صحة مشاركة بعضها في العملية الانتخابية في عام 2006 غير أنها لم تصل إلى أهمية وضرورة الوحدة الوطنية في إبرز مظاهر التحول الديمقراطي والدخول فيها بكتلة وطنية انتخابية، فشاركت منفردة تحت ما عرف (بالقائمة الإيمانية)، ولم تجد نفعا محاولات هذه القائمة في ظل النظام الانتخابي القائم دعمها لمرشحين من قوى سياسية أخرى بطريقة فردية».

ولفت إلى أنه: «في مقابل ذلك لم تستطع جمعيات اليسار الديمقراطي رغم عراقة هذا التيار في النضال من أجل العدالة الاجتماعية، ورغم ما يمتاز به من تاريخ عريض وتراث وطني مشرف، أن يستثمر مساحة الحرية النسبية التي انتزعها بعد تضحيات جسام، وافتقر لوجود برنامج الحد الأدنى الذي يوحده في المشتركات، وفي إدارة الملفات الوطنية وعجز في أن يكون قوة مجتمعية موحدة ضاغطة مسموعة».

واعتبر اسماعيل بأن: «الفترة التي أعقبت فبراير 2011 عرّضت العمل الأهلي والسياسي إلى انتكاسة، وأضحى عمل مؤسسات المجتمع المدني، أهلية وسياسية باهتاً، وتأثيره محدودا، وأصبح المجلس المنتخب، مجلس النواب، في فصوله التشريعية التي أعقبت أحداث فبراير سواء من حيث تكوينه أو من حيث دوره الرقابي والتشريعي سهل الإنقياد ينشد تعاونا مع السلطة التنفيذية على حساب دوره واختصاصه، وعلى حساب حقوق المواطنين المعيشية».

في ذكرى انتفاضة مارس ١٩٦٥ المجيدة

الراحل محمد السيّد: أطلقها الشعب الغاضب

في هذا الشهر تمرّ علينا الذكرى 56 لانتفاضة مارس 1965 المجيدة، التي بدأت عفوية عندما تظاهر طلبة الثانوية في المنامة احتجاجاً على تسريح شركة بابكو المئات من العمال، وعلى دفعات، حتى وصل مجموع العدد الكلي إلى الف وخمسمائة عامل، ما عني قطع أرزاق مئات العوائل البحرينية، ثم تحولت الانتفاضة لعمل منظم، عندما شاركت فيها القوى الوطنية، وقادت ونظمت التظاهرات والاحتجاجات في المنامة والمحرق وبعض القرى لتكون انتفاضة وطنية شاملة في البحرين ضد الاستعمار البريطاني وأعوانه الذي أستخدم كل أساليب العنف، وقتل ستة من أبناء البحرين الأبرار، وزجّ بالعشرات في غياهب السجون والمعتقلات وخرج العديد من المناضلين المشاركين في الانتفاضة من البحرين إلى الدول الخليجية والعربية بعد ملاحقة من قبل أجهزة المستعمر البريطاني لهم .

المحامي الراحل
محمد السيد يوسف

في هذه المناسبة نستعيد ما كتبه عن الانتفاضة المناضل الوطني الراحل المحامي محمد السيد، وهو واحد من قادة التظاهرات في الانتفاضة، وكان يمثل جبهة التحرير الوطني البحرانية في الاجتماعات واللقاءات الميدانية مع ممثلي القوى السياسية الوطنية في المحرق، في مقدمة كتابه «يوميات من انتفاضة مارس 1965 – معايشة شخصية":

يقول السيد: «لم تكن انتفاضة مارس 1965 ثورة برتقالية ولا بنفسجية، ولم تكن من أجل تداول السلطة أو من أجل الاستيلاء عليها بشكل مباشر وغير مباشر مسكوب عنه. وهذا ما ستكتشفه من خلال أهدافها ومطالبها المشروعة التي أعلنت عنها القوى الوطنية أثناء الانتفاضة أو بعدها. ومع ذلك نستطيع أن نقول إن هذه الانتفاضة كانت ثورة ولكن من نوع خاص، ثورة قوامها العمال وعمادها الجماهير الكادحة من جميع فئات شعب البحرين المسحوقة وقد سالت عليها جوانبها الدماء.»

ويضيف: "لكن دماء أناس بعينهم تضامنوا بمحض إرادتهم واختيارهم مع جماهير شعبهم. تلك الجماهير التي لم تكن مظللة ولا مخدوعة ولم تسر بأوامر من أحد، بل كان اندفاعها وتضامنها من أجل الخلاص من سطوة الظلم و الإنعتاق من نير المستعمر الغاشم وأعوانه. تلك دماء التي سالت بحسرة وغزارة من قلوب أناس لم يحملوا السلاح ضد أحد ولم يهددوا حياة أحد ولم يعتدوا على أموال وممتلكات أحد. نقول إنها دماء أناس بعينهم ذلك لأن الفرز الطبقي الاجتماعي كان واضحاً صارخاً».

ويوضح محمد السييد على أن ذلك كان "نتاج تطورات وتحولات اجتماعية اقتصادية حصلت أو بدأت تحصل مباشرة بعد قمع وتصفية حركة هيئة الاتحاد الوطني عام 1956 وعلى ضوء تلك التحولات حصل تفاوت طبقي سحيق في بنية المجتمع البحريني وبين شرائحه وطبقاته، ومن صلب تلك الشرائح والطبقات الاجتماعية الكادحة جاءت الانتفاضة عفوية تلقائية حيث كان قد اختزلها الجور والجوع ودفع بها التعسف، وفاجأت القوى الوطنية السياسية العاملة في سرية تامة في ذلك الوقت (قومية كانت أم تقدمية) حيث وجدت تلك القوى نفسها في خضم الأحداث وتطوراتها اللاحقة، وإن تفاعلت معها بسرعة وتولت قيادتها وسيرت إضراباتها ومظاهرتها واحتجاجاته ".

المسقطي: ظروف «كورونا» زادت الهجمات الإليكترونية

قال الخبير في الأمن الألكتروني، محمد المسقطي إن جائحة «كورونا» أثرت بشكل كبير على زيادة الهجمات الإلكترونية بسبب اتصال الناس بشكل أكبر بالتطبيقات الإلكترونية، واعتمادهم عليها في تسيير أعمالهم وخدماتهم، موضحاً أن موضوع الأمن الإلكتروني لا يعتمد فقط على التقنيات بل على عدة أشياء، مثل نظرية الترهيب والترغيب، فللإستيلاء على حساب شخص، يقوم المهاجم بترغيب الضحية بمنحة أو جائزة حتى يتمكن من الحصول على معلوماته الشخصية.

جاء ذلك خلال ندوة أقيمت عن بعد، ضمن فعاليات ملتقى الأحد بالتقدمي، بتاريخ 31 يناير 2021 بعنوان "حوار حول الأمن الألكتروني وقضايا الإحتيال المالية"، حيث قدّم المسقطي، بدأية، مداخلة عامة عن الأمن الرقمي، وبعدها جرى حوار حول الأمن المصرفي للأفراد ونقاش حول القضايا اليومية المتداولة بين الناس حول سرقة الحسابات والخداع الإلكتروني.

واعتبر المحاضر أن تغيير السلوك الخاطئ في التعامل مع التكنولوجيا يوفر نحو 80٪ من الحماية المطلوبة وهو أهم من المعرفة بالأمن الرقمي، داعياً إلى ضرورة السعي لتغيير المستخدمين لسلوكهم، لأن المخترقين يعتمدون على سلوك المستخدم، وتحاشي الضغط على جميع الوصلات التي تصلهم، وعدم التجاوب مع كل من يتواصل معهم، وخصوصاً مع من يقومون بالإتصال الهاتفي، أو ويرسلون روابط وثم يطلبون إخبارهم بما يصل، وعدم مشاركة معلوماتهم الشخصية لمن لا يعرفونهم.

7 آلاف أجنبياً على رأس عملهم الحكومي

كشفت الارقام التي ادلى بها رئيس ديوان الخدمة المدنية أحمد الزايد خلال مناقشة مشروع الموازنة العامة للسنتين الماليتين 2021 و2022 عن متوسط كلفة الموظف الاجنبي العامل في القطاع الحكومي حيث بلغت 2232 ديناراً شهريا عن العامين 2018 و2019.

وبلغ إجمالي كلفة القوى العاملة وفقا للحسابات الختامية للعامين 2018 و2019 مبلغ 2 مليار و846 مليون دينارا. حيث بلغت في العام 2018 مليار و447 مليون و154 الفا و823 دينار. فيما بلغت في العام 2019 مبلغ مليارا و398 مليونا و864 الفا و73 دينارا.

وذكر الزايد خلال الاجتماع أن عدد الأجانب العاملين في القطاع الحكومي بلغ في تلك السنتين 7 آلاف أجنبي على رأس العمل، كلفتهم السنوية في 2018 مبلغ 187 مليون دينار وفي عام 2019 مبلغ 188 مليون دينار ما يعادل 13.1٪ من إجمالي مصروفات القوى العاملة للسنتين الماليتين 2018 و2019.

«البلاد» - 24 يناير 2021

إيقاف معاملات 26 شركة لحين تسوية الشكاوى العمالية ضدّها

قالت الحكومة إنّها أوقفت كافّة المعاملات بوزارة العمل والتنمية الاجتماعية وهيئة تنظيم سوق العمل لـ26 شركة وذلك لحين تسوية الشكاوى العماليّة ضدّها، والتي تضمنت عدم دفع أجور الموظّفين خلال فترة دعم الحكومة لرواتب الموظفين في القطاع الخاص.

وأكّدت الحكومة أن وزارة العمل والتنمية الاجتماعية تسلّمت 106 شكاوى متعلقة بعدم دفع المرتبات خلال الفترة من تكفّل الحكومة بدعم رواتب البحرينيين، وأن متابعة وزارة العمل والتنمية الاجتماعية أسفرت عن تسوية 68 شكوى بالتزام صاحب العمل، فيما تمّ اتخاذ الإجراءات المناسبة تجاه بقيّتها، ومنها تحرير محضر مخالفة بشأن اثنتين من الشكاوى، وإيقاف معاملات 26 منشأة، في حين لا تزال 7 منشآت قيد المتابعة للتأكد من التزامها وإزالة كافّة المخالفات حيث تعاونت هذه المنشآت مع الوزارة لدفع جزء من الأجور، ويتم متابعتها للتأكّد من استيفاء كافّة حقوق العمّال.

وأضافت الحكومة «في حال التزام المنشآة يتم حفظ الملف، أما إذا لم تلتزم فيتم اتخاذ الإجراءات الإدارية حيالها والمتمثلة في إدراج المنشأة في قائمة المتابة وإيقاف كافّة معاملاتها في الجهات الحكومية، واتخاذ الإجراءات القانونية بتحرير محضر مخالفة عملاً بحكم المادة (40) من قانون العمل في القطاع الأهلي».

جاء ذلك في ردّ الحكومة على مقترح برلماني مستعجل يطالب باتخاذ إجراءات صارمة وسريعة ضدّ الشركات التي تتلاعب بحقوق العمّال البحرينيين في ظلّ الظروف الاستثنائية التي تمرّ بها المملكة.

وأكّدت الحكومة في ردّها أنها قامت بحصر المنشآت غير المنتظمة بدفع الأجور مع توجيه الإدارات المختصّة لاتخاذ إجراءات استباقية بغرض التأكّد من التزام المنشآت بدفع أجور العمّال.

«الأيام» - 6 فبراير 2021

قانون نيابي: استرداد مبالغ «تمكين» عند فصل العامل تعسّفيًا

تقدّم عدد من النواب باقتراح بقانون جديد يقضي بإلزام الشركات بإرجاع جميع مبالغ الدعم التي حصلت عليها من صندوق العمل «تمكين»، وذلك في حال قيامها بفصل العامل الذي توظّف لديها عن طريق برنامج «دعم الرواتب» الذي تقدّمه تمكين.

وينصّ الاقتراح على إلزام الشركات بردّ جميع المبالغ التي صرفتها «تمكين» أثناء فترة دعم راتب العامل، وذلك في حال قامت بفصله تعسفيًا خلال 3 سنوات بعد انتهاء فترة الدعم.

وتقدّم بالاقتراح كل من النواب غازي آل رحمة، حمد الكوهجي، فاطمة القطري، فاضل السواد، وسيد فلاح هاشم.

وقال مقدمو المقترح بأن: «عدّة شركات تستغلّ بشكل سلبي الدعم المقدّم من تمكين لدعم الرواتب، حيث تقوم بتوظيف العامل عن طريق «تمكين» لتستفيد من دعم راتبه، وبعد انتهاء فترة الدعم تتعمّد الشركة فصله عن العمل لتحصل على عامل آخر يُدعم راتبه من «تمكين» أيضًا.

«الأيام» - الأحد 7 فبراير 2021

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

21 مخالفة لمنشآت تهاونت بالسلامة المهنية

كشف وزير العمل والتنمية الاجتماعية جميل حميدان أن عدد المخالفات المرصودة في عامي 2019-2020 للمواد المتعلقة بإنشاء لجان السلامة والصحة المهنية في المنشآت 21 مخالفة، تتعلق إما بعدم قيام صاحب العمل بإنشاء لجنة للسلامة والصحة المهنية في منشآته أو عدم التزام صاحب العمل بإخطار الوزارة باسم مسؤول السلامة والصحة المهنية وأسماء أعضاء لجنة السلامة فور تشكيلها أو تغيير احد أعضائها أو عدم وجود سجل لأعمال اللجنة حيث يتم اتخاذ الإجراءات القانونية تجاه المنشآت المخالفة وعددها 23 لم تقم بتصحيح أوضاعها ضمن المهل القانونية الممنوحة لهم وتحويل محاضر المخالفات للنيابة العامة.

ووفقاً للبيانات التي ذكرها الوزير في رده على سؤال برلماني للنائب سيد فلاح هاشم بشأن إنشاء جهاز ولجان الصحة والسلامة المهنية وعدد اللجان ونسبة التزام الشركات بإنشائهم، أوضح الوزير أن إجمالي عدد المخالفات لعدم قيام صاحب العمل بإنشاء لجنة للسلامة والصحة المهنية في منشآته بلغت 10 مخالفات في عام 2019 و 5 مخالفات في عام 2020، كما رصدت مخالفتين في عام 2019 لعدم التزام صاحب العمل بإخطار الوزارة باسم مسؤول السلامة والصحة المعنية وأسماء أعضاء لجنة السلامة فور تشكيلها أو تغيير أحد أعضائها أو عدم وجود سجل لأعمال اللجنة، كما تم رصد 4 مخالفات مماثلة في عام 2020.

وبين الوزير أن عدد المنشآت العالية ومتوسطة الخطورة تبلغ حوالي 590 منشأة، كما إن عدد المنشآت تتغير بشكل مستمر نظراً لتغير عدد العمال في المنشآت القائمة وكذلك لدخول منشآت جديدة على سوق العمل وخروج منشآت أخرى.

وتشير إحصائيات قسم السلامة المهنية إلى تسجيل 465 لجنة سلامة وصحة مهنية من مختلف المنشآت التي ينطبق عليها القرار الوزاري، كما تشير الإحصائيات إلى التزام 95٪ من المنشآت التي تم التفتيش عليها باشتراطات تشكيل لجان السلامة والصحة المهنية في المنشآت التابعة لها.

«الوطن» - 18 فبراير 2021

هاشم: الفروقات المحاسبية في أرقام «التأمينات» فاقت المليار دينار

كشف عضو كتلة «تقدّم»، عضو لجنة التحقيق البرلمانية في استثمارات صناديق التقاعد النائب فلاح هاشم عن فروقات شاسعة بين الأرقام التي زودتها الهيئة للجنة البرلمانية وبين الأرقام المدققة في الحسابات الختامية للهيئة وردود الهيئة على الأسئلة البرلمانية المختلفة.

وأوضح هاشم أن الأرقام الرسمية المختفية في الكشوفات التي أرسلتها الهيئة للجنة زادت عن مليار ديناراً في مختلف الأبواب، مشيراً إلى أن الأرقام التي زودتها الهيئة للخبير الإكتواري الذي بنى دراسته من أجل إيجاد حلول للعجز الإكتواري الذي تعاني منه التأمينات متباينة ومغلوطة عن الأرقام التي زودتها بها الهيئة.

وقال: «لا يوجد توجه لإصلاح الخلل في التأمينات، إذ أن الخبير الإكتواري نصّ صراحة على تطوير الاستثمارات في الهيئة، بينما القانون الذي أعدّ من أجل إصلاح العجز في الهيئة لا يتحدث عن الاستثمارات، وهذا خطأ كبير».

وأشار هاشم إلى أنه أمر غير مسبوق في عمل لجان التحقيق في المجلس أن ترفد جهة رسمية أرقاماً غير واقعية وملتبسة وغير حقيقية ومتضاربة، إذ أن هناك تبياناً كبيراً في الأرقام المرسلة من الهيئة للجهات الرسمية وذات الاختصاص الممثلة في لجنة التحقيق البرلمانية في الاستثمارات والخبير الإكتواري وفي أجوبتها عن الأسئلة البرلمانية المختلفة.

هاشم: تعويض إجازة الموظف ببدل مادي تكريس للاعتماد على شخص واحد في المؤسسة

أكدّ عضو كتلة «تقدّم» النائب السيد فلاح هاشم مقرر لجنة الشؤون التشريعية والقانونية على أن تقديم بدل مادي للموظف بدلا من الحصول على إجازة سيؤدي الى تكريس ممارسة غير صحيحة، وهي الاعتماد على شخص واحد في المؤسسة، مضيفا أن الإجازة السنوية ليست حقاً، بل هي واجب على الموظف لمنحه الحق في التواصل مع أسرته ومجتمعه واسترداد حيويته مرة أخرى.

وأضاف: إن الإجازة تمنح الموظف نوعاً من تجديد النشاط واستعادة الحيوية، ومن غير الطبيعي أن يعمل أكثر من 12 شهرا من دون الحصول على إجازة سنوية، مشيراً إلى أن الإجازة السنوية البالغة ثلاثين يوماً لم تقدر اعتباطاً، وإنما لحاجة العامل الصحية والاجتماعية إلى تلك الإجازة.

وتابع هاشم قوله: إنه من الطبيعي أن يكون في كل المؤسسات من يحل محلّ الموظف، ومن غير الطبيعي أن يتم الاعتماد على شخص واحد من دون أن يكون له بديل، وخاصة إذا كانت مؤسسة عامة تقدّم خدمات للجمهور والمواطنين، موضحاً إنه إذا تعرض أي موظف لظرف طارئ اضطره إلى الغياب، فبهذه الطريقة سيتضرر المجتمع من غياب هذا الموظف وبالتالي يجب أن يكون هناك البديل بشكل دائم.

وكان مجلس النواب قد ناقش اقتراحاً بقانون بشأن تعديل بعض أحكام قانون الخدمة المدنية إجازة السلطة المختصة منح الموظف بدلاً

نقدياً عن إجازته السنوية وفق القواعد والشروط التي يحدِّدها ديوان الخدمة المدنية، وقرر المجلس إعادته للجنة المعنية لمزيد من الدراسة. وكانت لجنة الشؤون التشريعية والقانونية قد رفضت في تقريرها المقترح بقانون.

وزارة العمل لا تتابع آلية صرف أجور العمال

تعليقاً على شكوى العاملين بعدم دفع رواتبهم، قال عضو عضو «تقدّم» النائب سيد فلاح هاشم: «أكدت الحكومة بردها وجود 106 شكوى عمالية، لكنها لم توضح عدد العمال المشتكين اللذين تعرضوا لانتهاك حقوقهم في الحصول على أجورهم في وقتها».

وأضاف هاشم» هنالك العديد من المخالفات لهذا الأمر، ولقد تواصلنا مرارا مع المسؤولين بوزارة العمل بسبب خوف الكثير من العمال بإجهار رأيهم، تجنباً للفصل من العمل والبطالة التي يهددهم بها أصحاب العمل، وهو ناتج لتأخر متابعة وزارة العمل والتنمية الاجتماعية للقرار رقم 68 لسنة 2019 بشأن حماية الأجور، والذي يؤكد أهمية دفع الأجر للعامل وفق أطر معنية، فالوزارة أصدرت قراراً بذللك ولكنه حبر على ورق.

مطرقة البرلمان

التغيير الوزاري.. لماذا وكيف؟!

عبدالنبي سلمان

هل نحن امام استحقاق تعديل وزاري وشيك؟ وهل نحن بالفعل أمام تحولات نوعية بالنسبة لطبيعة الأداء الحكومي؟ وهل الاعفاءات الأخيرة لبعض المستشارين والوكلاء والوكلاء المساعدين وبعض المدراء واستبدالهم بقيادات شابة، مغمورة نسبيا.. هي إحدى مؤشرات المرحلة القادمة؟!

تلك الأسئلة وغيرها يتم الحديث حولها الآن في السر والعلن، وتخلق لأجلها السيناريوهات التي في العادة لا يصدق أغلبها، لكن وعلى الرغم من ذلك فإنها تبقى مؤشرات على مكنونات ومزاج الشارع بشكل عام حيال طبيعة ونوعية الأداء الحكومي، على الرغم من ان هناك الكثير نجاحات لا يمكننا اغفالها تحرياً للدقة والمصداقية، والتي ربما كان آخرها النجاح والاستعداد المتميز للبحرين بالنسبة لملف جائحة كورونا، وهو أهم وأخطر ملف لازلنا في مواجهته حتى اللحظة ومعنا الكثير من دول العالم.

إلا أن ذلك لن يعفينا من القول إننا يجب أولاً أن نعترف أننا في البحرين أمام استحقاقات جدية وجديدية قادمة إلينا بقوة وعلى أكثر من صعيد، فها هو الوضع الاقتصادي يرمي بثقله على كاهلنا جميعاً، بكل ما يحمله من عجوزات مزمنة في الميزانية العامة للدولة، وها هو الدين العام ينحو باستمرار باتجاه تصاعدي وحيلتنا أمام وقف هذا التصاعد دونها العديد من العقبات، وقد ازدادت أوضاعنا الاقتصادية سوءاً على مدار العام نتيجة ما فرضته جائحة كورونا من تحديات غير مسبوقة، حيث جرى حتى الآن استنزاف الميزانيات وجزء مهم من احتياطياتنا، عبر صندوقي التعطل واحتياطي الأجيال لتسهيل مهمة التعاطي مع تداعيات الجائحة.

وبالمثل تستمر معاناتنا مع ملفي البطالة والإسكان والتعليم وبض الخدمات الأساسية بشكل أكثر حدّة في ظل تعطل الكثير من المؤسسات والقطاعات الإنتاجية وعدم وجود منهجية واضحة لكيفية التعاطي معها، وتخفيف حدّتها اقتصاديا واجتماعيا، وعلى الجهة الأخرى استمرار الرقعة الجغرافية المتاحة أمام المشاريع الإسكانية في التقلص، علاوة على الميزانيات الشحيحة التي لم تعد كافية للتعاطي مع زيادة الطلبات الاسكانية عاماً بعد آخر نتيجة الزيادة في عدد السكان.

أمام هذا المشهد وتعقيداته لن يكون كافياً أو حتى مقنعاً مجرد الحديث عن تغيير وزاري مأمول يأخذ من تغيير بعض الوجوه القديمة بوجوه أخرى جديدة وسيلة طالما ألفناها حد السأم لسنوات، بل يبقى السؤال رهناً بطبيعة ونوعية التغيير الوزاري القادم – إن حصل – فعلامات التذمر من أداء بعض الوزارات الخدمية ووزراءها لم يعد خافياً على أحد، وأصبح الجميع منتظراً قدوم التغيير الوزاري لإعفاء بعض الوزراء الذين يكفيهم أنهم أعطوا الفرصة كاملة من قبل الحكومة والناس ولم يقدموا ما يشفع لهم فعلاً الاستمرار، ولم يقدموا لنا إلا التراجعات والتخبطات على المستويين الإداري والمالي.

هناك من سيقول أن الوزير أياّ كان فهو ينفذ سياسات مرسومة له سلفاً، وبحسب ما يُطلب منه، الا ان ذلك المنطق لا يستقيم بالفعل مع ممارسة العمل الوزاري، ولذلك فنحن أمام نجاحات لدى بعض الوزارات بطواقمها المحترفة والمهنية، وفي مقابل فشل ذريع للعديد من الوزارات الأخرى بطواقمها غير المهنية وغير النمسجمة أصلاً مع توجهات الحكومة، يشهد على ذلك تكرار اخفاقاتها، وفساد بعض مسؤوليها وبشكل مستمر، كما تسجل ذلك تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية سنويا، دون أن نجد أدنى محاولة لإصلاح الأوضاع من أولئك الوزراء في وزاراتهم، مكتفين بتبريراتهم المعتادة حفظا لماء الوجه ليس إلا!

ما يدعونا للحديث عن ضرورة التغيير الوزاري وأهميته، ليس فقط الإستغناء عن تلك الوجوه الوزارية العاجزة، بل يتعداه إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو ضرورة الحرص على أن يأتي التغيير الوزاري القادم والذي نرجو أن لا يتأخر– كما يشاع حالياً – إلى ما قبل الانتخابات البرلمانية نهاية العام القادم، بتغييرات جوهرية ونوعية في الكفاءات والطواقم والنهج والمتابعة اللصيقة لممارسة جميع الوزراء ووزاراتهم، فالمهمة الكامنة امام السلطة التنفيذية الحالية بقيادة صاحب السمو الملكي ولي العهد رئيس مجلس الوزراء هي مهمة ذات أبعاد وتحديات غير مسبوقة، ولا سبيل أمام الجميع للتعاطي معها إلا بتوافر الصدق والمصارحة والتفكير في كيفية النجاح.. والنجاح وحده، حتى نعبر معاً ما ينتظرنا من مهمات بنجاحات، فلقد تغير عالمنا بدرجات كبيرة، ولم يعد ممكنا القبول بمجاملة وزير او مسؤول على حساب الوطن، وطالما قبلنا بحقيقة أن البحرين ولّادة، فلن يعيينا البحث عن تلك الكفاءات الوطنية التي لم تنل بعد فرصتها في خدمة وطنها، وحسناً فعل سمو رئيس مجلس الوزراء عندما أقدم على خطوته الأخيرة بإعفاء العديد من الوجوه التي يكفيها أنها أعطيت الفرصة لسنوات، وصار لزاماً ان يعين مكانها وجوه شابة ومتنوعة يحضر فيها العنصر النسائي بشكل أفضل ومختلف هذه المرة، مما يزيدنا تفاؤلاً بأننا على موعد مع تحولات نوعية أخرى قادمة نرجو ان تعطي دفقاً جديداً لعطاء نوعي، وعبر منهجية خلاقة وبرامج عمل عصرية تؤسس لتعاط مختلف مع ما ينتظرنا من تحديات ومصاعب، وهو أمر ليس مستحيلاً بمقاييس الشعوب الطامحة للتغيير والنجاح والتفوق.

زينل: برنامج التوظيف فرصة جديدة لمعالجة ملف البطالة

أشاد عضو «تقدّم» النائب يوسف زينل بتوجيهات سمو ولي العهد رئيس الوزراء الخاصة بإطلاق برنامج لتوظيف العاطلين من أبناء البلد، وذلك بتوفير 25 ألف وظيفة خلال 3 سنوات، معتبراً إياه فرصة جديدة تتاح أمام وزير العمل من أجل القضاء على واحد من أهم الملفات البحرينية، ممثلاً في ملف البطالة.

وأضاف زينل: ليس هذا هو البرنامج الأول من أجل القضاء على هذه البطالة التي ظلت حاضرة بتداعياتها في صفوف الشباب البحريني، ولم ترحم حتى الجامعيين ممن ظل بعضهم على رصيف البطالة لنحو عقد من الزمان، لكننا نعوّل عليه في ظل وجود حاجة ماسة لمعالجة تشوهات عديدة تتصل بعدم مواءمة بعض التخصصات الدراسية مع احتياجات سوق العمل، الأمر الذي أنتج معاناة لشريحة من الخريجين الجامعيين كما هو الحال مع طلبة العلوم الاجتماعية.

وبراي زينل فإنه يتوجب على البرنامج إعداد العدّة لاحتواء حديثي التخرج سنوياً من المواطنين، والمقدر عددهم بنحو 7 آلاف خريج سنوياً، ما يعني أن على البرنامج الذي يمتد تنفيذه لـ 3 سنوات تخصيص أكثر من 20 ألف وظيفة لهذه الشريحة، كما أن الأمر يتطلب وضع خطة إصلاح للتعليم ومخرجاته، تنفذ بموازاة برنامج التوظيف، وذلك من أجل علاج جذري لمواطن الخلل المغذية لمشكلة البطالة والمساهمة في تفاقمها.

انتقد وجود لجنة بحث جدّية الإستجوابات

يوسف زينل: بيت البرلمان يحتاج لمعالجة من الداخل

وصف النائب عن كتلة تقدّم يوسف زينل مجلس النواب الحالي بأنه: «مجلس رغبات بامتياز». موضحاً بأن: «أعضاء المجلس الحالي يقدّمون الكثير من المقترحات برغبة، وإن كانت نابعة من مطالبات الناس واحتياجاتهم، إلا أن الإكثار من المقترحات برغبة لا يعتبر ظاهرة صحية»، فالرغبات في حقيقها هي مجرد «إلتماسات تقدّم للحكومة من أجل إيصال أماني الناس، ويمكن بدلاً من ذلك تفعيل الأدوات البرلمانية للتشريع وسن القوانين التي تحقق للناس ما يطمحون إليه».

وقال زينل في ندوة نظمّها المنبر التقدمي خلال ملتقاه الأسبوعي تحت عنوان:» 19 عاماً من التجربة البرلمانية... ما لها وما عليها»، بأن: «مجلس 2018، يمتاز بالأعضاء الشباب، ورغم الحماسة التي تقود عملهم، إلا انهم لا يتمتعون بالخبرة السياسية، والكتل الموجودة هي كتلة «تقدّم» بالإضافة إلى «كتلة الاصالة»، لافتاً إلى أن: «مثل هذه التحديات تضعف العمل النيابي الذي يجب أن يستند إلى برامج الجمعيات السياسية التي تمثل مختلف أطياف المجتمع البحريني».

وأشار زينل إلى أن: «هناك مثالب في اللائحة الداخلية لمجلس النواب تحتاج إلى تعديل»، مشدداً على: «أهمية معالجة البيت البرلماني من الداخل أولاً، وبالتالي نستطيع تفعيل دور هذا المجلس بشكل جيد». وأوضح بأن: «عدداً من لجان التحقيق تعمل حالياً في جوانب مختلفة منها الصحة والبحرنة والإسكان، وبناء على ما ستتوصل إليه نتائج اللجان يجب مراقبة وحث السلطة التنفيذية على الأخذ بتلك التوصيات لأنها تعبر عن الإدارة الشعبية».

وواصل زينل: «أما فيما يتعلق بأداة الإستجواب فإن اللائحة الداخلية ابتدعت لجنة الجدّية لمناقشة الاستجواب قبل عرضه على المجلس، وهو ما أدى لرفض معظم الاستجوابات المقدمة عن طريق تلك اللجنة»، وشدّد على أن: «وجود لجنة الجدّية يعتبر عاملاً سلبياً ويعرقل تفعيل الأدوات الرقابية الموجودة لدى النواب».

وأكّد زينل الحاجة إلى «استخدام الأدوات التي تتيح للمجلس مواجهة السلطة التنفيذية ليس بغرض المواجهة، وإنما بغرض الإصلاح، وهناك كثير من التجاوزات المالية والإدارية التي بحاجة للتصدي لها».

الشفافية فى ملف التقاعد والمتقاعدين

خليل يوسف

نتحدث عن أهمية الشفافية، خاصة عندما تتصل بهيئة تدير أموالاً عامة، وتتعاظم الأهمية حين تكون هذه الأموال تخصّ شريحة عريضة من المتقاعدين، وحقوقهم، وأمنهم الاجتماعي.

كثير من الأمور المتعلقة بهذا الملف مثارة منذ سنوات وحتى الآن، وكل الذى أثير وما زال يثار حتى الان يطرح تساؤلات، منها ما يثير العجب، ومنها ما يثير القلق، والمقلق يفرض أن نفتح أعيننا وعقولنا على "المطلوب" والذى نحن أحوج ما نكون اليه، والمطلوب حقاً وفعلاً هو الشفافية، التي تعني في أبسط تحليل العلنية والوضوح وعدم التمويه فى كل ما يرتبط بالقول والفعل، تعنى أيضاً أن هناك من يتحمل المسؤولية، ويتحمل تبعاتها فى المنهجية والسلوك والغايات، وغياب الشفافية يفتح الباب لكثير من المآخذ، والعجز والأخطاء والشكوك والمراوحات المستمرة.

فى هذا الخصوص فاجئنا ولم يفاجئنا رئيس لجنة التحقيق البرلمانية الأخيرة فى ملف صناديق التقاعد ابراهيم النفيعي بما صرح به أخيراً (اخبار الخليج – 13 ديسمبر 2020)، فاجئنا وهو عضو فى المجلس المعني بالرقابة والتحقيق والمساءلة حين أعلن بأن مجلس ادارة هيئة التأمين الاجتماعي اتخذ قراراً بعدم نشر ما يتمّ مناقشته فى اجتماعات المجلس من توصيات وقرارات فى الصحف، مؤكداً أن محاضر اجتماعات مجلس إدارة الهيئة التى حصلت عليها لجنة التحقيق البرلمانية كشف ذلك، وعليه تساءل النفيعي، ونحن معه نتساءل عن أسباب حجب المعلومات واتباع السرية من قبل هيئة عامة، تدير أموال صناديق التقاعد تخصّ الآف المشتركين الذين من أبسط حقوقهم معرفة كل شئ عن سياسات الهيئة واستثماراتها، وكيف توجه وعلى أي أساس او اعتبارات تدار ومن يديرها، والقطاعات التى تستثمر فيها، ونسب الأرباح والخسائر والعوائد فى كل منها، وفاعلية الخطط لاستدامة الصناديق التقاعدية ومواجهة العجز الاكتواري، عن خطط الهيئة فى تنميتها، وأوجه النجاح والإخفاق، وإلى أي مدى هى بمنأى عن أي سوء فى الادارة والاستثمار، ومدى كفاءة أعضاء مجلس إدارة الهيئة وجهازها الإدارى في تولى مهام ومسؤوليات جهاز هام وخطير يعنى اولاً وأخيراً بالأمن الاجتماعي؟

إن رئيس لجنة التحقيق البرلمانية فى ملف صناديق التقاعد بمعظم ما كشف عنه من أرقام وحقائق والتى قيل بأنها صادمة، منها على سبيل المثال أنه تمّ صرف معاشات تقاعدية لأشخاص متوفين صرفت لهم مبالغ تجاوزت 76 ألف دينار، وما قاله غيض من فيض، فاجئنا ولم يفاجئنا، كما ذكرنا، لأن هناك أكثر من لجنة تحقيق برلمانية تشكلت فى أكثر من فصل تشريعي سابق، منذ عام 2004 وحتى الآن تتشكل لجان تحقيق وكل لجنة تنتهى إلى نتائج مذهلة وصادمة، وتخرج بخلاصات تتكرر في كل مهمة تحقيق، وفى كل مرة، وفى مناسبات عديدة نجد السؤال يطرح نفسه مجدداً: أين الشفافية ..؟!

وبدوره كان النائب فلاح هاشم عضو لجنة التحقيق المذكورة وصاحب الاهتمام الاستثنائي بملف التقاعد والمتقاعدين وقضايا العمل والعمال قد أثار العديد من التساؤلات والملاحظات، ومنها كمثال ما يتصل بالفروقات الشاسعة بين الأرقام التى زودتها هيئة التأمين الاجتماعي للجنة التحقيق وبين الأرقام المدققة فى الحسابات الختامية، وهى تساؤلات وملاحظات تفرض ذات السؤال: اين الشفافية ..؟، ليس ذلك بل الأدهى والباعث على حيرة شديدة هو ردّ الهيئة فى شأن ذلك السؤال تحديداً والذى لمحت فيه الى انها "تحتفظ بحق اتخاذ كافة الإجراءات القانونية ضد من يسئ دون وجه حق الى نزاهة الهيئة والعاملين فيها"، وهى بذلك تنسى او تتناسى أحقية النائب فى السؤال والتحقق والمساءلة، أحقية مكفولة بحصانة، وكان الأجدى والأنفع ان تنفتح الهيئة وتشرح حقائق المعلومات والأرقام التى استفزتها وقالت بأنها مغلوطة، ما دامت هذه الأرقام والمعلومات عصيّة على الاستيعاب أو الفهم، والخلاصة نأتى إلى نفس السؤال: أين الشفافية فى مجريات عمل هيئة عامة، نؤكد هيئة عامة، تدير أموالاً عامة.

كل الملاحظات والمآخذ، وكل المطالبات، كل أوجه الخلل فى ادارة واستثمار التقاعد والمتقاعدين، وكل ما خلصت اليه كل لجنة من لجان التحقيق البرلمانية، وكل ما سجله ديوان الرقابة المالية والإدارية فى تقاريره، وكل ما أثير فى الصحف وفى المجالس فى شأن هذا الملف منذ سنوات طويلة، وحتى الآن لم تُحرك ما يفترض أن يتحرك وظلّت الهواجس والظنون والمآرب والشكوك تلازم كل ما يخصّ أمر التقاعد ومصلحة المتقاعدين، وأصبح هذا الملف مرهقاً بالتساؤلات القلقة والتوقعات شديدة الضراوة ضد المتقاعدين ومدخراتهم المستقبلية بشكل أزعج الجميع، كان يمكن التخفيف من وطأتها وحدتها ووجعها لو كان هناك حضور حقيقي وجدي وفاعل للشفافية.

أموال التقاعد أموال عامة، هى فى أي مكان فى العالم تعتبر من أهم مصادر الاستثمار، من يديرونها ملتزمون بعدم التهاون فى الإلتزام بكل مبادئ ومقتضيات الشفافية والمحاسبة وكل المبادئ الدولية، يمكن فى هذا السياق أن نستحضر كمثال أو مقارنة – لا بأس أن نفعل ذلك رغم أننا سئمنا المقارنات – بصندوق التقاعد النرويجي الذى احتل المركز الأول عالمياً فى حجم الأصول، وتنوعت استثماراته بين حوالى 9000 شركة حول العالم لضمان عدم المخاطرة، ومنها حصة فى شركة المنيوم البحرين، أهم ما يعنينا فى أمر هذا الصندوق هو التزام القائمين على أموره التزاماً صارماً بسياسة شفافة جداً فى كل مجريات عمل الصندوق، التزام جعله لا يقدم على أي خطوة استثمارية دون جرعة كافية من الشفافية مع كل ما يضمن الإشراف والرقابة فى أي شركة يريد أن يستثمر فيها أو يحصل على حصة منها، وعلى أساس هذه الشفافية لم نجد هناك من ينغص على المتقاعدين بالمسّ من حقوقهم أو امتيازاتهم التقاعدية، أو يهددهم بعجز اكتواري، الى آخر المعزوفة التى تعودنا سماعها.

إلى جانب ذلك هناك صناديق أخرى ملتزمة بالشفافية بكل تجلياتها، تصدر تقارير فصلية عن كل مجريات عملها، وتقاريرها متاحة للجمهور بمنتهى الشفافية، وخاضعة للرقابة والمتابعة والمساءلة والمحاسبة وكل ما يبعث الإطمئنان فى حسن مسارات عملها وتأخذ على محمل الجد كل ما يمس نزاهتها.

أموال التقاعد يكفى القول انها أمانة عامة بحاجة إلى مزيد من الشفافية .. وهذا موضوع يستحق الطرح العلنى والنقاش المستفيض من كل الجوانب مع التأكيد بأن اموال التقاعد ليست كأي أموال أخرى، لذا لا ينبغي الوقوع فى فخ التهوين من شأن كل ما يخصّ هذا الملف.

بصراحة

البطالة قلق دائم لشباب البحرين

تُشكل البطالة قلقاً دائماً لشباب البحرين منذ سنوات، عاماً بعد عام تزداد تعقيداً وصعوبة أمام خريجي الجامعات والثانوية العامة الباحثين عن العمل، ولتحقيق آمالهم وتطلعاتهم في بناء مستقبلهم، ولكّن كل تلك الطموحات والتمنيات تصاب بالخيبة واليأس، فطوال عقود من السنين لم تضع الجهات المعينة في الدولة رؤى واضحة للخروج من تلك الأزمة المتأصلة، والتي أصبحت مثل المرض المزمن، والدواء الموجود لا يعالج الجسد المريض ولا يخفف آلامه المستمرة، مشاريع ومعارض ومؤتمرات التوظيف تنظمها الجهة الحكومية المعنية ربما في العديد من المرات في السنة دون جدوى، لأنها لا تتوجه لمعالجة جذر المشكلة.

فاضل الحليبي

البحرنة ليست شعاراً يُرفع أو كلاماً يتردد على لسان هذا المسؤول أو ذاك، وليست شهادة بحرنة تفرض على تلك الشركة أو الأخرى استخراجها من أجل الحصول على مناقصة حكومية في هذه الوزارة أو تلك، بدونها لا تستطيع الدخول فيها، بل يجب أن تكون «البحرنة» استراتيجية واضحة المعالم، عندما توضع تتم دراسة كل الصعوبات والمعوقات وكيفية التغلب عليها، من أجل تحقيق الأهداف المرجوة منها، وأن تكون ملزمة لكل الجهات، أي القطاعين العام والخاص، وهذا لن يحدث إذا لم يكن مدعوماً بقرار سياسي، يبدأ بتحديد الوظائف التي يجب ان تكون حصراً على البحرينيين، وبالأخص في القطاع الخاص وهي كثيرة مثل: الموارد البشرية، الهندسة، السكرتارية، المحاسبة، تكنولوجية المعلومات، تدقيق الحسابات، المبيعات، المشتريات، والقطاع العام «الحكومي» في وزارات التعليم والصحة وغيرها حيث يتعين تقليل نسبة العمالة الوافدة فيها، وإحلال المواطنين العاطلين من الشباب الخريجين، مثلما فعلت سلطنة عمان الشقيقة.

جاءت جائحة كوفيد 19 وما أحدثته من أزمة اقتصادية ومالية كبيرة في مجالات عدة وتداعياتها المستمرة، لتسرع من تنفيذ ذلك القرار المؤجل منذ سنوات في العديد من دول مجلس التعاون الخليجي، وكان بالإمكان تنفيذه في السابق، فالعمل به حالياً يعتبر خطوة إيجابية لحل مشكلة البطالة في المجتمع البحريني والخليجي، في الوقت التي تعج بلداننا بالملايين من العمالة الوافدة، ففي بلادنا البحرين عالجت الدولة معضلة العمالة السائبة أو الهاربة من أرباب العمل بإعطائها ما يعرف ب»التأشيرة المرنة»، بالرغم من معارضة أرباب العمل لهذه الخطوة الحكومية إلا أنهم لا يستطيعون الوقوف ضدها.

وقد عبَّر رئيس غرفة تجارة وصناعة البحرين في مقابلة مع الصحافة المحلية في العام الماضي، عن استيائه من ذلك، حيث يبدو واضحاً أنه لا يوجد اتفاق بين الحكومة والغرفة بشأن «الفيزا المرنة»، حيث أصبح حاملو تلك التأشيرة «أرباب عمل» ينافسون كفلاءهم السابقين في العديد من الأعمال والمشاريع وبأسعار أرخص منهم، وأصبح البحرينيون من أصحاب الشركات والمشاريع الصغيرة هم الأكثر تضرراً، وجاءت جائحة كورونا لتقصي من تبقى منهم في السوق.

ما يجري تجاهله هو أن أي مشروع استثماري أو صناعي لا يستفيد منه أبناء الوطن لا جدوى منه، فهو واستنزاف للمال العام لصالح مستثمرين أجانب ومشاريع تجارية فاشلة يجب أن تتوقف، وأن لا تكون البحرين حقل تجارب للفاشلين والفاسدين الأجانب، الفساد المالي والإداري والاقتصاد غير المنتج لا يمكن ان يبني وطناً متقدماً في الصناعة والتجارة والاقتصاد.

منذ فترة وجيزة طرحت الدولة مشروع توظيف 20 ألف من المواطنين الخريجين في عام 2021، فكرة ممتازة، وإنْ سبق طرحها في السنوات الماضية، السؤال هنا، كيف تتحقق وماهي الخطوات التي وضعت لتنفيذه؟، لا نريد أن ندخل في تفاصيل المشروع، ولكن الشفافية مطلوبة لمحاسبة الجهة المقصرة في التنفيذ، فما أكثر المشاريع والرؤى التي طرحت ولم تتحقق على أرض الواقع، واستمرت البطالة وجعاً يقلق آلاف الشباب ومعهم أسرهم في بلادنا، خلافاً لما ينصّ عليه الدستور في مادته (13) – ب، التي تنص على أن «تكفل الدولة توفير فرص العمل للمواطنين وعدالة شروطه».

بالمقابل يجب أن تتوقف الحكومة من استنزاف صندوق التأمين ضد التعطل عند كل مشروع أو أزمة تحدث في البلاد، مثلما حصل مع مشروع تمويل التقاعد الاختياري لعام 2019 بمبلغ وقدره (230) مليون دينار بحريني، وفي جائحة كورونا تم سحب (215) مليون دينار بحريني من الصندوق لدفع رواتب البحرينيين في القطاع الخاص لثلاثة أشهر (مارس، أبريل، مايو 2020)، إجمالي المبلغ 445 مليون ديناراً بحريني، حوالي نصف مبلغ الصندوق (800 مليون) دينار أو اكثر بقليل، كان الاجدر بأن يتم إنجاز مشروع كبير في البلاد يُوظف فيه العاطلون ويوفر لهم حياة كريمة بدلاً من الانتظار والبحث عن العمل لسنوات طويلة، فالمطلوب مشاريع جادة ذات منفعة للمواطنين، واعتماد الشفافية في كل مشاريع الحكومة المعلن عنها، وعلى أعضاء مجلس النواب القيام بالدورالرقابي والتشريعي المناط بهم بهذا الشأن.

محطات مضيئة من نضال حركتنا العمالية - ٥

جواد المرخي

تجسدت روح التلاحم الوثيق بين مناضلي جبهة التحرير الوطني والحركة العمالية في معرفة العمل الوطني بين المدّ والجزر في مراحل مختلفة، لدفع عجلة النضال اليومي مع أهمية التركيز على العمل الجماهيري، الذي يعتبر الأساس لكسب الجبهة للقواعد الجماهيرية من مختلف أطياف المجتمع البحريني.

وقد ثبت هذا في الاحتفال المهيب بمناسبة الأول من مايو عام 1974، الذي أقيم في نادي البحرين بالمحرق، الذي حضرته حشود جماهيرية كبيرة من كل مناطق البحرين، فامتلأت ساحة نادي البحرين بألوف من جماهير العمال وبقية فئات الشعب، وظهر فيه الارتباط بين نواب كتلة الشعب والكوادر العمالية والنقابية، ومن بين الحشود الكبيرة كانت هناك أعداد كبيرة من النساء والشباب.

بالإضافة إلى الخطابات التي ألقيت في الحفل، كانت الأغاني الوطنية تشدو مع الأفراح، فيما الشارات الحمراء تُزين أكتاف القائمين على الحفل، ومن بينهم مناضلون أشداء، وانتهى الحفل بنجاح باهر.

للأسف لم تدم هذه الأفراح الوطنية طويلاً، حيث شنت حملة اعتقالات واسعة بدءاً من تاريخ 25 يونيو من السنة نفسها، في صفوف القيادات والكوادر العمالية والنقابية والشخصيات الوطنية، كمقدمة للهجمة الشرسة على دستور 1973 بعد أن حيكت المؤامرات لحلّ المجلس الوطني المنتخب وضرب الدستور بعرض الحائط في عام 1975، وتوالت الاعتقالات التي شملت نواباً من كتلة الشعب وقيادات وكوادر وطنية وعمالية، وصولاً إلى تطبيق قانون أمن الدولة الذي رفضه المجلس الوطني باجماع كتله، وفي نهاية العام التالي استشهد المناضلان محمد غلوم وسعيد العويناتي.

إلا إن هذا القمع لم يوقف نضال الحركة الوطنية والمطلبية، فاستمرّ النضال الوطني السري، وكانت منشورات جبهة التحرير تصدر بانتظام، وتوسعت التحركات الوطنية والعمالية المطالبة بالحريات والحقوق في الداخل والخارج وبشكل لافت وبدون استسلام لظروف القمع والنفي، وبرزت قيادات وكوادر وطنية ونقابية جديدة واصلت المسيرة النضالية.

إلا أن التربص بجبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية عامة لم يتوقف، حتى جاءت ضربة جديدة قاصمة رتب لها بدقة في عام 1986 التي شملت العشرات من مناضلي جبهة التحرير واستشهد فيها الرفيق الدكتور هاشم العلوي، ونفي المناضل العمالي المرحوم عزيز ما شاء الله، وصدرت أحكام قاسية بالسجن على العشرات من المعتقلين.

كيف نعيد للمعلم هيبته؟

محمد المحفوظ

بعد سنوات من التجاهل والنسيان تنطلق النداءات: أعيدوا للمعلم هيبته التي فقدها. لسنا هنا بحاجة للتأكيد أن مهمة المعلم مهنة نبيلة وشاقة وعدّها البعض مقدسة. الإدارات المدرسية تركزاهتمامها علي تجميل المباني المدرسية ووضع نباتات الزينة ..جميعهم مهتمون بالشكل الخارجي فقط، أما المعلمون فلا يبدو أنها يثيرون اهتمام أحـد. لا أحد يستشيرهم في بناء المناهج المدرسية.. ولا أحد يأخذ رأيهم في القرارات التربوية، ولا أحد يطلعهم علي الخطط المستقبلية بوصفهم المنفذون لها ...قبل إصلاح أي خلل في المباني المدرسية كان الاولى إصلاح الحالة النفسية والعصبية للمعلم.

الجميع مدينون لهذا الإنسان ولعل أحد أدواره وأخطرها علي الاطلاق يتجسد في كونه القدوة والمثال الذي يحتذى به..ولعمري أي دور بتبقي له اذا فقده..

استحضر بالمناسبة مقولة لأحد المفكرين تقول: "اثنان لا يسمح لهما بالاستقالة من عملهما المعلم والطبيب ..فالطبيب مهمته سلامة جسد الأمة اما المعلم فإن مسؤوليته هو عقلها".

اتذكر أنني قرأت قبل سنوات أن القضاة في ألمانيا طالبوا المستشارة ميركل مساواة رواتبهم بالمعلمين، فكان ردها كيف تريدون مني أن اساوي الطالب باستاذه؟ لن اساويكم بمن علموكم، أعتقد أن ميركل اختصرت الرد بكلمات قليلة لكنها تحمل رسالة بليغة لا إلى القضاة وحدهم، لكن الي الأمة الألمانية بأجمعها..كأنها أرادت أن تقول إن نهضة ألمانيا ومنجزاتها العلمية ما كان لها أن تكون، لولا جهود هؤلاء المعلمين ..ومن نحن لولا المعلمين ؟ إننا مدينون لمعلمينا كل حسب جيله.

التساؤل هنا لماذا يتمتع المعلم في ألمانيا وربما في بلدان اخري بدرجة تفوق الآخرين من أطباء وقضاة .؟ بخلاف ما هو سائد في البلدان العربية والعالم الثالث ؟ الإجابة ليست بحاجة إلي كبير عناء..إن تقديرهم للمعلم هناك يعني أنهم وضعوا الحجر الاساس للتنمية والتقدم، اما الحقيقة التي غفلنا عنها طويلا – ولا نزال – للأسف في إرساء نهضة تعليمية فإنها تتمثل ببساطة شديدة في أننا (استوردنا) النظريات من الشرق والغرب لكننا تناسينا تكريم المعلم ..ولذا ليس مستغرباً أن تأتي النتائج مخيبة للآمال..وبعكس ما توقعناه..

هل تأخرنا في إعطاء المعلم ما يستحق من مكانة؟ غالباً ما ينصرف الذهن أن المقصود بالتكريم يعني التقدير المـادي وحـده ..إن الجانب المادي لا يشكل إلا جزءاً من المعضلة... كون ميركل حرصت علي التقدير المادي فإن هذا لا يقلل منه، فمن حق المعلمين أن تتم مكافأتهم بما يستحقون نظير جهودهم الجبارة والا يضطر الكثير منهم إلى العمل الإضافي الذي يستنزف طاقاتهم الجسدية والنفسية.

أتمنى لو كانت هناك التفاتة إلى التقدير الآخر للهيئات التعليمية، وأعني ألا يتحول المعلم إلى موضع سخرية من طلابه وهذا لا يتم إلا بمنحه الصلاحيات التي كان يتمتع بها قبل سنوات، وإعادة النظر في الوسائل الكفيلة بالإرتقاء بالمعلم ..لأنه وحده كفيل بالنهوض بعملية التعليم.

وأيضاً لا بد من إصلاح الخلل في العلاقة بين المعلم وأولياء الأمور، ذلك أن نظرة هؤلاء الأخيرين للمنتسبين للتعليم يشوبها عدم الثقة واعتبارهم جلادين، أما المفارقة الباعثة علي السخرية أن الأغلبية من أولياء الأمور لا يسألون عن المستوي التعليمي لأبنائهم بقدر ما يمارسون استجواباً بوليسياً للمعلم، الأمر الذي أفضى إلى علاقات غير ودية في أغلب الأحيان يقع ضحيتها الطلاب..

المرأة العربية:

مهـــــام وكفـــــاح

تُعَنون النسوية المرموقة فاطمة المرنيسي أحد فصول كتابها القيّم: «الخوف من الحداثة» بعنوان شديد الدلالة هو: «نشيد النساء: نحوالحرية». وفيه تذهب إلى أن النساء العربيات لا يخشين الحداثة، لأنها فرصة منتظرة لبناء شيء آخر، «إنهن متلهفات للرسو على تلك الشطآن الجديدة، حيث الحرية ممكنة، فطوال قرون كن ينشدنها وهن سجينات، لكن لم يكن أحد يصغي»، مضيفة أن "النساء متلهفات للغوص في المجهول، ورمز ذلك التلهف تلك الأم الفلسطينية الشجاعة التي نشاهدها يومياً على الشاشات تقف غير مرعوبة تجاه الجنود الاسرائيليين».

كانت النساء، من خلال حركاتهن المنظمة، شريكات في صنع التقدّم الذي شهدته مجتمعاتنا العربية، بما فيها وطننا البحرين، وكانت الحركة النسوية العربية إحدى روافع المجتمع الجديد المنشود الذي يحقق الحرية والكرامة والتكافؤ لأفراده من الجنسين.

تغيرت أشياء كثيرة، وشهد عالمنا العربي تراجعاً حتى عن قيم التحديث نفسها، وانعكس ذلك على النظرة لقضية المرأة التي كانت حتى عقود قليلة مضت، محكاً أو معياراً لجدية نهج التحديث نفسه، سواء في إطار الحكومات أو في إطار المؤسسات الأهلية أو حتى في الحياة الشخصية، فاشتدت الضغوط على المرأة، إنسانة وموقفاً ورؤية.

بمناسبة يوم المرأة العالمي تخصص «التقدمي» ملفها لهذا العدد عن قضايا المرأة العربية ونضالها واوجه معاناتها، مساهمة منا في تسليط الضوء على كل ذلك، وشاركت في هذا الملف مجموعة من الناشطات والفاعلات النسويات من البحرين وبلدان عربية أخرى ممن يرين قضية المرأة في بعدها الاجتماعي – السياسي، حيث يقدّمن شهادات من واقع عملهن المباشر على قضايا المرأة والدفاع عن حقوقها.

المحرر

داعياً إلى تمكين المرأة البحرينية سياسياً ونقابياً لتعزيز مكانتها

قطاع المرأة بالتقدمي بمناسبة الثامن من مارس: قضايا المرأة هي قضايا المجتمع والدولة والمستقبل

يحتفل العالم هذا اليوم الثامن من مارس باليوم العالمي للمرأة حاملاً هذا العام شعار «المرأة في القيادة: تحقيق مستقبل متساوٍ في عالمCOVID–19 "، وذلك احتفاءً بالجهود الكبيرة التي بذلتها ولا تزال تبذلها المرأة حول العالم في تشكيل مستقبل أكثر مساواة والتعافي من "كورونا"، إلى جانب التأكيد على أولويات عديدة تستهدف النهوض بواقع المرأة وفتح آفاق جديدة يعزز من دورها في المقدمة منها المشاركة الكاملة والفعالة في الحياة العامة، وكذلك القضاء على العنف، وتحقيق المساواة بين الجنسين والتمكين وغيرها من الأولويات.

والثامن من مارس أضحى ومنذ عقود طويلة مناسبة أممية، توحد نساء العالم في مختلف البلدان والقارات تحت راية نضالهن المشترك من أجل حقوقهن، غير المنفصلة عن قضايا الحرية والديمقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية في بلدانهن، ومن أجل تبادل خبرات عملهن المشترك ودروسه، وقد اعتمدت الأمم المتحدة هذا اليوم لكي يكون مناسبة سنوية للتذكير بحقوق النساء في جميع أنحاء العالم، وتعميق التوجهات التي من شأنها مكافحة كل أشكال التمييز العنصرى والاجتماعي والقهر، وإزالة ما يعترض المرأة على صعيد العمل السياسي والاجتماعي والتعليم والعلم والثقافة والمنزلة الاجتماعية، وفي كل نواحي الحياة.

وبالنسبة لنا في البحرين فإن هذه المناسبة فرصة للتأكيد على أن قضايا المرأة البحرينية هي قضايا كل مواطن ومواطنة، وأنها تخص المرأة والرجل معاً، وتعني المجتمع والدولة على حدٍ سواء، لأنها قضايا التكامل والبناء والمستقبل، ومن هذا المنطلق لا بد من تبني كل الخطوات والسياسات والبرامج التي تحقق هذا الهدف وتصبو إليه.

إن قطاع المرأة في المنبر التقدمى يحيي بتقدير كبير الجهود الطيبة والبارزة لكل من وقفن في الخطوط الأمامية من العاملات البحرينيات في مجالات الرعاية الطبية والتمريضية والخدمات المساندة وفي غير ذلك من الأعمال والمهن، والتقدير والثناء موصولين لكل الجهود النسائية في كافة مجالات العمل والانتاج والحياة الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتعليمية، وكذلك على صعيد الجمعيات والمنظمات الأهلية، مثمنين عالياً كل من تركن بصمات واضحة ومؤثرة ضمن جهود مواجهة جائحة كورونا والتعافي منه.

وفي الوقت الذي يعبر فيه القطاع عن اعتزازه بما قطعته المرأة البحرينية من خطوات متقدمة على طريق نيل حقوقها وإثبات جدارتها في كل تلك المجالات وغيرها، فإنه بمناسبة اليوم العالمي للمرأة يؤكد على ما يلي:

أولاً: تبني وتنفيذ السياسات والخطوات الكفيلة بإيجاد فرص العمل اللائقة للمرأة البحرينية العاطلة عن العمل، والعاملة في الاقتصاد غير المنظم وتخصيص نسبة مئوية من الموازنة العامة للدولة بما يخدم هذا التوجه.

ثانياً: تمكين المرأة البحرينية سياسياً، من أجل رفع مساهمتها في الشأن السياسي ولعب دور أكبر فى القضايا الوطنية العامة، واعتماد نظام الكوتا لتوسيع تمثيل المرأة في البرلمان والمجالس البلدية.

ثالثاً: حثّ المرأة البحرينية على الانخراط في العمل النقابي، من خلال الاتحادات والنقابات كوسيلة من وسائل العمل الديمقراطي والسياسي، وحث الاتحادات والنقابات على تبني برامج لإدماج النساء العاملات في أنشطتها وبرامجها.

رابعاً: العمل على موائمة القوانين والتشريعات الوطنية مع بنود اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) وإزالة التشريعات والاجراءات التمييزية ضد المرأة والتي أثيرت في العديد من المناسبات.

خامساً: الإسراع في معالجة معاناة أبناء البحرينيات المتزوجات من غير بحرينيين بمنحهم الجنسية البحرينية، لإنهاء المشاكل المعلقة والمؤرقة لعشرات الأمهات والأبناء، ومراعاة البعد الحقوقي والإنساني في هذا الملف.

سادساً: الإلتزام بما نصت عليه التشريعات الدولية الخاصة بحماية المرأة من كل أشكال العنف الأسرى، وإزالة العقبات بوجه تحقيق المساواة بين الجنسين، وترسيخ مبدأ تكافؤ الفرص والمشاركة الاقتصادية والسياسية والمجتمعية.

فى الختام، يوجه قطاع المرأة بالتقدمي تحية تقدير واعتزاز لكفاح المرأة وصمودها الدؤوب في مختلف البلدان وفي أي موقع كان، ويخص بالذكر النساء في فلسطين المحتلة، تحية إجلال وإكبار لهن ولنضالاتهن وللشهيدات منهن ممن طالبن بالحرية وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي الذى ينتهك حقوق الشعب الفلسطينى الشقيق.

قطاع المرأة
المنبر التقدمي – البحرين
٨ مارس ٢٠٢١

انسجاماً مع أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة

ساعتا الرضاعة والقانون

بدرية المرزوق *

في عام ٢٠١٥ اعتمدت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، ومنها مملكة البحرين، أهداف التنمية المستدامة (SDGs) السبعة عشر كاملة، أي أنها تدرك أن العمل في مجال ما سيؤثر على النتائج في مجالات أخرى، وأن التنمية يجب أن توازن بين الإستدامة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، والقضاء على كل مايعيق تقدّم الدول للأمام، خاصة منها تلك التي لازالت بالخلف، ولهذا تمّ تصميم أهداف التنمية على جعل العالم يتحول إلى أصفار في العديد من جوانب الحياة المتغيرة، بما في ذلك التمييز ضد النساء والفتيات. والهدف الخامس يُعنى بالمساواة وعدم التمييز، ولا يمكن تحقيقه بشكل منفصل عن الأهداف ال١٦ الأخرى، وخاصة الهدف الثامن الذي يعنى بالعمل اللائق، وكذلك الهدف العاشر الذي يعمل على الحدّ من عدم المساواة.

ومنذ أكثر من عقدين طالب الاتحاد النسائي، ممثلا في جمعياته، بالمساواة في ساعات الرضاعة بين القطاعين العام والخاص، حيث أن هذه الفجوة في التمييز، وعدم المساواة تسبب الكثير من المعاناة للمرأة في القطاع الخاص، وتعديل القوانين التمييزية هو ما يجب أن تقوم به الحكومة، لأنه مهمة من مهماتها، حيث أن التزامها بتحقيق أهداف التنمية المستدامة لا يمكن بدون التعديل في العديد من القوانين المتعلقة بالمرأة العاملة سواء في القطاع الخاص أو العام .

ومؤخرا تقدّم خمسة نواب في البرلمان، باقتراح بتعديل المادة 35 من قانون العمل في القطاع الأهلي الصادر بالقانون رقم 26 سنة 2012، لتحقيق المساواة بين المرأة العاملة في القطاع الأهلي وتلك العاملة في القطاع الحكومي، ويتضمن مشروع القانون استبدال المادة 35 من قانون العمل في القطاع الأهلي الصادر بالقانون رقم 26 لسنة 2012، والذي ينصّ على: «تستحق المرأة العاملة بعد الانتهاء من إجازة الوضع وحتى يبلغ طفلها عامين من العمر فترة رعاية لرضاعة طفلها على أن لا تقل مدة كل منها عن ساعة واحدة، وللعاملة الحق في ضمّ هاتين الفترتين وتحتسب هاتين الفترتين من ساعات العمل أسوة بالقطاع العام، ولا يترتب عليها أي تخفيض في الأجر ويحدد صاحب العمل فترة الرعاية المشار إليها في الفقرة السابقة وفقا لظروف العاملة وظروف العمل.".

وينصّ النص المطلوب تعديله في قانون العمل رقم 26 الصادر في العام 2012/ المادة 35 منه: "على أن يكون للمرأة العاملة بعد الإنتهاء من إجازة الوضع وحتى يبلغ طفلها ستة أشهر من العمر فترة رعاية لرضاعة طفلها على ألا تقل مدة كل منها عن ساعة واحدة، كما يحق لها فترة رعاية مدة كل منها نصف ساعة، حتى يبلغ طفلها عامه الأول، وللعاملة الحق في ضمّ هاتين الفترتين. وتحتسب هاتان الفترتان الإضافيتان من ساعات العمل، ولا يترتب عليها أي تخفيض في الأجر، ويحدد صاحب العمل موعد الرعاية المشار إليها في الفترة السابقة، وبحيث تتناسب مع وقت العاملة وظروفها، ومصلحة العمل.»

لكن الحكومة طلبت إعادة النظر في مشروع القانون، وذكرت بأن المقترح ليس في صالح إدماج المرأة في سوق العمل، وأن له تداعياته السلبية على أصحاب الأعمال ويكبدهم خسائر مالية مع كثرة الإجازات الممنوحه لها.

إن الحكومة معنية بشكل أساسي بتطبيق المساواة في القوانين، وإن خلق الحجج للقطاع الخاص للاستمرار في التمييز ضد المرأة العاملة، سيشجعه على الاستمرار في هذا التمييز، بل سيوغل في تمييزه، بحيث يشمل حقوقا أخرى لإلغائها بحجة تأثر أرباحه بهذه الحقوق، كما حدث سابقا، وقد تمّ إلغاء النص الذي يلزم القطاع الخاص بتوفير حضانات في الشركات التي تزيد نسبة النساء العاملات فيها عن 100 عاملة.

إن ساعات الرضاعة من المواد الأساسية في اتفاقية الأمومة التي سنتها منظمة العمل الدولية والتي نصت على التالي:

- يحق للمرأة الحصول على فترة أو فترات توقف يومية أو تخفيض ساعات العمل اليومية لإرضاع طفلها رضاعة طبيعية.
- تحدد القوانين والممارسات الوطنية المدة التي تسمح فيها بفترات الإرضاع وتخفيض ساعات العمل اليومية وعددها وطولها وإجراءات تخفيض ساعات العمل اليومية وتعتبر فترات التوقف هذه وتخفيض ساعات العمل اليومية بمثابة ساعات ويدفع أجرها وفقا لذلك.

وقد أوصت دراسة علمية نشرتها جريدة الوطن في 2015/5/18 بمساواة المرأة البحرينية العاملة في القطاع الخاص مع نظيرتها في القطاع الحكومي، بخصوص ساعات الرضاعة الطبيعية، وإجازة الرعاية والأمومة، ووقفت الأستاذة المساعدة في كلية الحقوق بجامعة البحرين د.نعيمة الحداد في دراستها المعنونة بـ (المساواة وعدم التمييز بحق الرضاعة الطبيعية للأمهات العاملات في البحرين على قصور قانون العمل بخصوص ساعات الرضاعة الطبيعية وإجازة الأمومة والرعاية، ورأت الحداد لدى مشاركتها في مؤتمر (رؤى قانونية) مؤخرا أن هناك تمييزا في التعامل بين المرأة العاملة بالقطاع الأهلي ونظيرتها العاملة في القطاع الحكومي ودعت إلى مراجعة هذا القانون

تقع على المرأة العاملة ضغوط كثيرة، وذلك في الجهد المبذول للتوفيق بين مهماتها الوظيفية والأسرية، والتي من المفترض أن لا تتحمل تبعاتها بمفردها، بل لابد أن يساهم المجتمع، بتوفير بيئة داعمة لها، لتحقيق مشاركتها في سوق العمل بشكل فاعل، كما أكدت المادة 5 الفقرة (ب) من دستور مملكة البحرين (على أن تكفل الدولة التوفيق بين واجبات المرأة نحو الأسرة وعملها في المجتمع)، حيث لم تعد مشاركة المرأة في سوق العمل ترفا بل ضرورة من أجل مشاركة المرأة في التنمية ودفع عجلة الاقتصاد.

* رئيسة الاتحاد النسائي البحريني

المرأة في القيادة وفي مواجهة الجائحة.. مستقبل أكثر مساواة

«إن النشاط النسائي صعب، فهو يتطلب عملاً كثيراً وتفانياً كبيراً وتضحيات ضخمة، لكنها تضحيات ستثمر ولا مفر منها».

كلارا زيتكن

دينا الأمير

في السنوات الأخيرة أولت العديد من المنظمات والهيئات الدولية والحركات النسائية الاهتمام بقضية تمكين المرأة، واتخذت تدابيرٍ كثيرة لممارسة حقها كاملاً في جميع مناحي الحياة، والعمل على تغيير المفاهيم المجتمعية الخاطئة والتي تؤثر سلباً على تفعيل دور النساء وذلك انطلاقاً من مبدأ المساواة ودون تمييز بين الرجل والمرأة والتي تعتبر من أهم ركائز حقوق الإنسان، فالتنمية الشاملة لا يمكن أن تتحقق دون مشاركة المرأة باعتبارها نصف المجتمع، كما أن وضع المرأة في أي مجتمع هو انعكاس لمستوى العدالة الاجتماعية فيه.

وفي الثامن من مارس من كل عام تحتفي دول العالم باليوم العالمي للمرأة، حيث يأتي هذا اليوم تقديراً ودعماً لحقوق المرأة والاعتراف بانجازاتها ونضالها، ودعم مشاركتها في المجالات العامة، كما أن هذه المناسبة فرصة لاستعراض ومراجعة ما تحقق من إنجازات خاصة على صعيد تمكين المرأة، وبحث التحديات التي تقف عائقاً أمام النساء في المشاركة الفعلية والحصول على فرص متساوية وسد الفجوة بين الجنسين. وفي بعض الدول مثل روسيا والصين وكوبا تحصل النساء على إجازة رسمية في هذا اليوم.

انبثق اليوم العالمي للمرأة عن حراك عمالي، واصبح حدثاً سنوياً اعترفت به الأمم المتحدة لاحقًا. ففي عام 1856 خرجت آلاف من النساء في شوارع مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية للاحتجاج على الظروف اللا إنسانية في مواقع عملهن، قامت الشرطة بتفريقها، ولكن المسيرة نجحت في إبراز مشاكل النساء كقضية ملحة. وفي عام 1908 تكرر المشهد نفسه، حيث خرجت 15،000 امرأة في مسيرة احتجاجية بشوارع نيويورك أيضاً للمطالبة بتقليل ساعات العمل وتحسين الأجور والحصول على حق التصويت في الانتخابات. وفي عام 1977 وافقت منظمة الأمم المتحدة على تبني تلك المناسبة، وأصدرت قرارًا يدعو دول العالم إلى اعتماد أي يوم من السنة يختارونه للاحتفال بالمرأة، فقررت غالبية الدول اختيار الثامن من مارس، وتحول هذا اليوم إلى رمز لنضال المرأة تخرج فيه النساء عبر العالم في مظاهرات للمطالبة بحقوقهن.

المرأة في القيادة

هيئة الأمم المتحدة اختارت هذا العام 2021 عنوان «المرأة في القيادة: تحقيق مستقبل متساوٍ في عالم COVID-19» موضوعاً للاحتفال باليوم العالمي للمرأة وسيتضمن هذا اليوم، ابرازاً للجهود الهائلة التي تبذلها النساء والفتيات في جميع أنحاء العالم، في تشكيل مستقبل أكثر مساواة والتعافي من جائحة كوفيد-19.

كما يأتي هذا الموضوع تماشياً مع أولويات الدورة الخامسة والستين للجنة وضع المرأة بالأمم المتحدة، وهو «المشاركة الكاملة والفعالة للمرأة وصنع القرار في الحياة العامة، وكذلك القضاء على العنف، لتحقيق المساواة بين الجنسين والتمكين لجميع النساء والفتيات»، والحملة الرائدة لجيل المساواة، التي تدعو إلى حق المرأة في المشاركة في صنع القرار في جميع مجالات الحياة، والأجر المتساوي، والمشاركة المتساوية في الرعاية غير المدفوعة والعمل المنزلي، ووضع حد لجميع أشكال العنف ضد المرأة والفتيات وخدمات الرعاية الصحية التي تستجيب لاحتياجاتهن.

وبينت هيئة الأمم المتحدة في موقعها، أن النساء وقفن في الخطوط الأمامية في مكافحة كورونا، سواء في مجال الرعاية الطبية أو المنظمات المجتمعية أو حتى كبعض القياديات، حيث أظهرت القيادات النسائية والمنظمات النسائية مهاراتهن ومعارفهن وشبكاتهن للقيادة الفعالة في جهود الاستجابة لـ COVID-19 والتعافي منه.

وبحسب لجنة المرأة بالأمم المتحدة، تشكل النساء 88٪ من العاملين في مجال الرعاية الشخصية و70٪ من الأخصائيين الصحيين. وهذه الوظائف في الخطوط الأمامية تستلزم مخالطة المرضى ولا يمكن القيام بها من المنزل. وفي ظلّ انتشار وباء كورونا، تعمل هؤلاء النساء لأيام متتالية دون أخذ إجازة أو ساعات راحة، وهو ما يهدّد صحتهن النفسية، إلى جانب تعريضهنّ للعدوى أكثر من كل الفئات الاجتماعية الأخرى، وهذا يؤكد مبدأ المساواة بين الجنسين، وأن النساء يقدّمن مساهمات أساسية كقائدات ومستجيبات في الخطوط الأمامية، ومهنيات صحيات، ومتطوعات مجتمعيات، ومديرات النقل واللوجستيات، وعالمات.

النساء في مواجهة الجائحة

خلقت جائحة كوفيد-19 آثاراً اجتماعية وأزمة اقتصادية وصحية لا مثيل لها على مستوى العالم، وأثبتت المرأة أنها محور رئيسي في مواجهة المرض، حيث تقدم النساء مساهمات عديدة لمعالجة تفشيه. ويلاحظ أن الدول التي تترأسها نساء كانت من أكثر الدول نجاحاً في مواجهة انتشار الوباء، وخلصت دراسة أجرتها كل من سوبريا جاريكيباتي، وهي باحثة من جامعة ليفربول، وأوما كامباباتي من جامعة ريدينج، على 194 دولة، إلى أن القيادات النسائية تعاملت مع جائحة فيروس كورونا «بشكل منهجي وأفضل إلى حد كبير» مقارنةً بتلك التي يقودها الرجال، معتبرين أن «القيادة من قِبل الإناث قد منحت بعض الدول ميزة في الأزمة الحالية».

كما أشادت وسائل الإعلام بنجاح سياسات ومواقف هذه الدول وبالإجراءات التي اتخذتها لمواجهة الأزمة الصحية العالمية، مثل ألمانيا والدنمارك ونيوزيلندا وتايوان وآيسلندا وفنلندا، حيث سجلت فيها وفيات أقل نسبياً من باقي الدول جراء فيروس كورونا، ، علماً بأن النساء يشكلن تقريباً 7٪ فقط من قادة العالم. ويرجع السبب في ذلك أن هذه الدول تتمتع باقتصادات متطورة وأنظمة تضمن رفاهية المواطنين، كما أنها سجلت أعلى معدلات في مؤشر التطور الاجتماعي، وتمتلك أنظمة رعاية صحية جيدة قادرة على التأقلم مع حالات الطوارئ.

أثرّ فيروس كورونا «كوفيد-19» على النساء والفتيات بشكل كبير، حيث واجهت النساء عوائق اجتماعية واقتصادية وصحية، تمثل ذلك في العنف المنزلي والبطالة والفقر، حيث تعاني النساء بوجه خاص من آثار سلبية مضاعفة على الصعيد الاقتصادي، حيث ما زالت المرأة تكسب أقل من الرجل في سوق العمل، وتشغل وظائف غير آمنة على الرغم من الدور الأساسي الذي تؤديه في المجتمع. ورغم أن بعض الدول ضمنت المساواة بين الرجال والمرأة في دساتيرها، إلا أن الفوارق ما زالت صارخة بين الجنسين، وبدا ذلك واضحاً

مع انتشار الجائحة، بسبب ضعف النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الموجهة للمرأة، وباتت المخاوف من اتساع الفجوة بين الجنسين وخسارة المكاسب المحدودة التي تحققت في العقود الماضية.

تدابير مطلوبة

ومن جانبها تركز الأمم المتحدة على خطة التنمية والمكونة من 17 هدفاً من أهداف التنمية المستدامة، حيث أن العديد من هذه الأهداف موجهة لقضية المساواة وتمكين المرأة، وبشكل خاص الهدف رقم (5): «تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين النساء والفتيات»، كما أن لجنة وضع المرأة وهي هيئة حكومية دولية رئيسية مخصصة لتعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، تقوم بدور أساسي في تعزيز حقوق المرأة، وتوثيق واقع حياة النساء في جميع أنحاء العالم، وتشكيل المعايير العالمية في مجال المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة.

كما تُولي اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة أهمية خاصة لمشاركة المرأة في الحياة العامة، وفي المشاركة في عملية صنع القرار، وتتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة، إذ تشير الاتفاقية إلى أن التمييز ضد المرأة يشكل انتهاكا لمبدأ المساواة في الحقوق واحترام كرامة الإنسان، وعقبة أمام مشاركة المرأة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويعوق نمو ورخاء المجتمع والأسرة، ويزيد من صعوبة التنمية الكاملة لإمكانات المرأة في خدمة بلدها.

ويدعونا كون المرأة هي الأكثر تضرراً من هذا الوباء للمطالبة بسن التشريعات والسياسات التي من شأنها التخفيف من الآثار الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على النساء. وعلى الرغم من أن المساواة بين الجنسين هي إحدى ركائز أهداف التنمية المستدامة واحترام حقوق الإنسان، إلا أنه مازال هناك قصوراً في القوانين والتشريعات التي تضمن المساواة الكاملة بين الجنسين من حيث إدماج النساء في عملية التنمية ومواقع صنع القرار.

ولتحقيق المساواة الفعالة يتطلب إرادة سياسية حقيقية للنهوض بواقع المرأة وإزالة جميع المعوقات التي تقف في وجه مشاركتها في الحياة السياسية، وتشجيعها في الانخراط في العمل السياسي، ومنح الفرص المتساوية بين الرجل والمرأة على أساس مبدأ الكفاءة، ووضع إستراتيجيات وخطط وبرامج عمل للنهوض بالمرأة سياسياً واقتصادياً بالشراكة بين الحكومة ومؤسسات المجتمع المدني وخاصة المنظمات النسائية، ومنع العنف بكافة أشكاله ضد النساء والفتيات، وتثقيف وتعريف النساء بحقوقهن والمطالبة بها وتعزيزها وممارستها.

«زرايب العبيد» رواية تحكي معاناة المرأة السوداء

خديجة الصائغ

تروي الكاتبة الليبية نجوى بن شتوان في روايتها "زرايب العبيد" مأساة ومعاناة الإنسان الذي خلق ببشرة سوداء، واتخذه الإنسان الأبيض عبداً له يباع ويشترى كالحيوان، ويعيش ذليلاً أجيراً.

في ليبيا قديماً كانوا يتاجرون في ذوي البشرة السوداء. يجلبونهم من دول عدة منها السودان مشياً على الأقدام، يموت منهم من يموت، وتغتصب من تغتصب من النساء، وتموت جوعاً وعطشاً واغتصاباً وعذاباً وبؤساً، وإن شاءت لها الاقدار ان تصل إلى بر الامان فإنهم يعرضونهن في الأسواق للبيع كأي بضاعة تعرض دون شفقة أو رحمة يستطيع من يريد شرائها أن يتحسس جسمها كما يشاء لا كإنسانة بل كبضاعة معروضة للبيع، ثم يأخدها من يشتريها امة له يتصرف فيها كما يشاء جارية خادمة وينادونها (بالشوشانه) اذلالاً واحتقاراً لها أو خليلة تعيش الذل والهوان بجميع أشكاله.

هناك عادات غريبة عند المرأة في المجتمع الليبي القديم، حيث يؤمنون بأن البنت لابد وأن تقفل كي لا يستطع اي رجل أن يغتصبها وذلك عبر امرأة عجوز تطعمهن بعض التمرات وتطلب منهن ترديد بعض الكلمات والقفز على صندوق خشبي، مع أن الجميع يدفع لها مقابل هذا العمل، إلا أنها تنظر إلى المرأة السوداء نظرة دونية، وحتى لو حضرت قبيل موعد المرأة البيضاء، فإن المرأة العجوز تقدم البيضاء عليها، كأنه ليس من حقها أن تأتي إلى هذا المكان.

مع كل ما يعاني هذا الإنسان الأسمر من عذاب وويل، إلا أن هناك بعضاً من قصص الحب التي تتخطى كل أسوار الممنوعات والتجاوزات بين السادة والعبيد، وبينها تلك التي عاشها السيد محمد وجاريته تعويضة التي قاست كل أنواع العذاب والويل، وذلك بسبب عشق ابن سيدها لها، حيث هجر زوجته الجميلة ابنة خاله وتعلق قلبه بتلك الشوشانة كما يطلقون عليها.

كان مستعداً أن يضحي بكل شي مقابل هذا الحب، إلا أن السلطة الأبوية في ذلك الزمان تقف حاجزاً في وجه هذا الحب كي يفرق بينهم، حيث أرسله والده عدة مرات في تجارة الى مالطا حيث تستغرق الرحلة في تلك الايام عدة شهور، ولكنه يرجع اليها باشتياق أكثر ولكن رحلته الاخيره كانت هي منفاه الأخير إلى الأبد حيث وافته المنية هناك.

ولكن هذه العلاقة انتهت بمولود مات بسبب تعجرف وقساوة جده دون أن يعلم أنه حفيده الصبي، الذي كان ينتظره طويلاً وبسبب غلطة ارتكبتها تعويضة لم تكن مقصوده فعاقبها سيد البيت بالضرب والحبس مع ابنها الرضيع ومنعها من إرضاعه مما تسبب بموت الطفل وهو لا يعلم أنه قد قتل حفيده.

الرواية تعطينا مثالاً على العلاقات العنصرية وطبيعتها بين البشر، وما تؤدي إليه من مآس ومن هدر لحقوق الإنسان وطبيعة المجتمعات القبلية في بعض البلدان العربية، التي تصادر حقوق الإنسان بسبب اللون وتعامله كشخص في مرتبة أدنى .

واقــع المــراة الفلسطينيــة ونضــالاتهــا

بشكل عام لا يفرق الاضطهاد في المجتمعات النامية بين رجل وامراة، كونه قائماً على استهداف الفئات الأكثر تهميشا وضعفاً في المجتمع، وكونه يمارس من قبل قوي منتفذة، اجتماعية وسياسية، مستفيدة من اختلال موازين العدالة وغياب القوانين الفاعلة، ومن الموروث الديني والثقافي السائد.

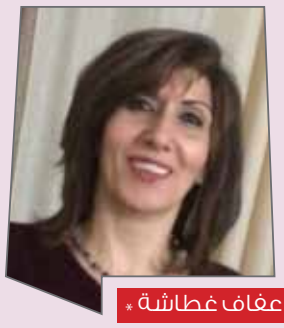

عفاف غطاشة *

وفي فلسطين لا يختلف الحال عن حال الكثير من المجتمعات النامية التي تخضع لاضطهاد سياسي واجتماعي واقتصادي يمارس على الجميع، ولا يكاد ينجو منه رجل أو امراة أو طفل او مسن، بفعل الاحتلال وافرازاته التي فرضت الحصار، وقيّدت الحريات، وعمقت الفقر، ورفعت مستويات البطالة إلى نسب قياسية (اكثر من نصف مليون عاطل عن العمل في الضفة الغربية وقطاع غزة).

وجاءت جائحة «كورونا» المستجدة لتساهم في تعميق حال البؤس المزمنة التي عانى منها المجتمع الفلسطيني خلال عقود طويلة من الصراع مع المحتل، أعاقت وأخرّت تطوره الطبيعي في مجالات حقوقه الأساسية، وأضعفت، في نفس الوقت، قدرته على المقاومة والتغيير، وباتت فئاته المهمشة تخضع لاضطهاد مزدوج كانت المرأة فيه الأكثر تضرراً كونها الطرف الأضعف في معادلة الاضطهاد.

وبمفارقة عجيبة تحوّل فيها المضطهَد (الرجل) إلى مُضطهِد تحت ضغط الفقر والبطالة والقمع السياسي، مستفيداً من كل الشروط التي تخدم استمرار التفوق الذكوري، يعتبر المراة تابعاً وملحقاً اجتماعياً واقتصادياً، وفي حالات عالة على المجتمع، وعليها أن تقبل بالخيارات المحدودة التي يحددها (سي السيد) المتمثل في الزوج أو الأب أو الأخ الأكبرضمن الدائرة الصغيرة، والمجتمع في الدائرة الأوسع متمثلاً برب العمل والشارع والموروث الاجتماعي والديني السلبي، وكل ما من شأنه الحدّ من خيارات المرأة وتقييد حركتها في تحدي هذا الواقع، الذي يتطلب منها، في نفس الوقت، قوة مضاعفة في نضالها من أجل التغيير ومراكمة إنجازات الحركة النسوية لتحقيق المساواة والحرية في وقتٍ لم يعد وعي المراة للواقع وللحقوق كافياً وحده لإنجاز هذه المهمة الصعبة والمعقدة.

تاريخ المرأة الفلسطينية، رغم ذلك، حافل ومشرف وبطولي في نضالها ضد قوي الظلم والظلام، وعبر هذا التاريخ قاومت الاحتلال، فحملت السلاح وشاركت في الإحتجاجات ضد المحتل الذي اغتصب أرضها، وأستشهدت وأعتقلت وأستشهد زوجها وشقيقها وابناؤها واعتقلوا، وتحملت المسؤولية في حماية الأسرة من أنياب الفقر والعوز، وعملت في الأرض وفي القطاعين العام والخاص بشروط تمييزية وقاسية لاتتناسب مع الجهد والمؤهلات التي تقدّمها المرأة وتحت قانون العرض والطلب، وغياب آليات المراقبة التي تمنع تشغيل المرأة في ظروف لا إنسانية باستغلال بشع من القطاع الخاص، بحيث لا تزال آلاف النساء يعملن باجور أقل بكثير من الحد الادني للأجور (المتدني أصلا)، ويعملن ساعات أكثر مما يعمله الرجل.

وفي العقود الأخيرة اقتحمت المرأة الفلسطينية سوق العمل، وتمكنت من إشغال أكثر من 30٪ من القوى العاملة، وعانت في نفس الوقت من البطالة بعد أن حصلت على التعليم الجامعي الذي كان مقصوراً على الأبناء الذكور، حتى بات عدد الطالبات الجامعيات يفوق عدد الطلاب الذكور.

محاولات المرأة الفلسطينية للخروج من منطقة الظلّ، سواء في التعليم والعمل، تسجل كإنجاز ونجاح نوعي لتطور وضع المراة على طريق تحقيق الاستقلال الاقتصادي، كشرط اساسي للتحرر والاستقلال الاجتماعي والمساواة وإلغاء التمييزالتاريخي الواقع عليها، ورغم تحالف قوى الاضطهاد ضدها فقد تمكنت المرأة الفلسطينية من فرض ثقافة تقبل المجتمع لامراة متعلمة وعاملة ومنافسة للرجل حتى في الوظائف الهامة، وكذلك في مجالات السياسة وانتزعت زيادة في "كوتا" لتمثيلها في المؤسسات العامة السياسية، حيث ارتفعت من 20٪ إلى 30٪، الأمر الذي سيوسع مشاركتها في صنع القرار، وفرض القوانين والسياسات التي ستخدم قضية التحرروالمساواة وإلغاء التمييز.

بين واقع المراة ونضالها البطولي للنهوض يظلّ تحالف قوي الاضطهاد المتمثل في الاحتلال والتخلف والموروث الثقافي والديني السلبي والرأسمال غير الوطني، مضافاً إليها تداعيات جائحة كورونا التي أدت إلى زيادة نسب الفقر والبطالة في المجتمع الفلسطيني، عائقاً كبيراً أمام ديمومة وتسارع نضالات المرأة لتحقيق المزيد من الانجازات والانتصارات.

لكن هذا التحالف لقوى الاضطهاد يُشكّل في نفس الوقت عامل التحدي، والمحرك للحركة النسوية الفلسطينية وبالشراكة مع القوى والأحزاب اليسارية والديمقراطية ومع الحركة النسوية العربية والعالمية، لمواصلة النضال على كافة الأصعدة من أجل وطنٍ حرٍ ومستقلّ، ومن أجل حياة كريمة للجميع خالية من الاضطهاد والاستغلال والتمييز ليس فقط ضد المراة وإنما ضد كل الفئات المهمشة في المجتمع.

*رئيسة اتحاد المرأة العاملة الفلسطينية

مئة عام من النضال النسائي في مواجهة نظام العنف الطبقي والطائفي

يمكن القول إن التحركات النسوية من أجل التحرر والمساواة في لبنان قديمة جداً، فمنها ما يعود إلى نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بفعل كتابات بعض المثقفين والمثقفات ودعواتهم إلى التغيير، ومنها ما تفتح وسط الحركة النقابية التي انطلقت أيام الانتداب الفرنسي، بعد الحرب العالمية الاولى، وتطورت مع تطور صناعات الغزل والنسيج والخياطة والتبغ، ومع انتشار التعليم وازدياد عدد المستشفيات أبان الحرب العالمية الثانية وبعدها، في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي.

د. ماري ناصيف – الحبس

هذه المقدمة التاريخية السريعة تظهر الارتباط العضوي بين تطوّر الحركة النسائية اللبنانية وبين اندفاعة الحركة الشعبية ذات الوجه الطبقي في لبنان، خاصة مع نشوء الأحزاب السياسية التي استندت إلى خلفيات فكرية تقدمية، فنادت بالتحرر من الاستعمار وبالإنعتاق من عبودية الاستثمار والإستغلال بإتجاه بناء مجتمع المساواة بين الناس.

واليوم، وبعد مئة عام ونيف، كيف نُقيّم نضال المرأة في لبنان، بإيجابياته وسلبياته؟ وما هي الإنجازات التي تحققت منذ نهاية الحرب الأهلية وحتى يومنا هذا، مرورا بالدور الذي لعبته النساء على الصعيدين الوطني والاجتماعي؟ للإجابة على هذين السؤالين، لا بد من لفت النظر إلى مسألتين متناقضتين: الأولى تتعلق بالدور الذي لعبته المرأة اللبنانية في المقاومة الوطنية ضد الإحتلال الصهيوني ومن أجل تحرير الارض؛ وهو دور يأتي في سياق العملية التحررية التي انطلقت في أربعينيات القرن العشرين تحت شعار الاستقلال والخلاص من الاستعمار الأجنبي... أما الثانية، فتكمن في طبيعة النظام السياسي في لبنان المستند إلى تقسيم عامودي للمجتمع بين الطوائف الدينية الاساسية، التي أوكل لها حقّ النظر في الأحوال الشخصية وفق قوانين متعددة بلغت اليوم الخمسة عشر قانونا، ولكل منها فلسفته في قضايا الزواج والطلاق والوقاية والولاية والإرث، وإن اتفقت جميعها على إبقاء المرأة في الموقع الثانوي ضمن الأسرة والمجتمع رغم كل التضحيات التي قدمتها في سبيل التحرير، وبغض النظر عن تطوّر دورها في مواقع الإنتاج وفي الإدارة العامة.

من هنا، تبقى المساواة الفعلية بعيدة المنال إن لم يتم تجاوز العراقيل الناجمة عن تلك القوانين، واستبدالها بصياغة قانون مدني موحد للأحوال الشخصية يُشكل الأساس الصالح للمساواة بين المواطنين، وإعطاء المرأة حقوقها كاملة.

هذا لا يعني أن النضال توقف يوماً بانتظار الحل الشامل. فعلى طريق الوصول إلى هذا القانون، تمّ تحقيق إنجازات مهمة في مجالات عدة. نذكر منها في مرحلة السنوات العشرين الماضية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، تعديل أنظمة وقوانين الوظيفة العامة بإتجاه المساواة الكاملة في الحقوق بين الموظفة والموظف... إضافة إلى تعديلات مهمة أساسية في قوانين العمل والضمان الاجتماعي والتنزيل الضريبي، وخاصة العقوبات، حيث استطاع النضال النسائي، المستند إلى مؤازرة ودعم الحركة الشعبية وبعض القوى السياسية، إلغاء المواد المتعلقة بما يسمى "جرائم الشرف"، عدا عن تطوير المواد ذات الصلة بالعنف الأسري والخطف والاغتصاب.

واليوم، يشهد لبنان حركة مهمة ضد تزويج القاصرات، من جهة، وفي مجال وضع حدّ للعنف والتحرش المتزايدين في ميدان العمل، من جهة ثانية. كما يشهد حركة واسعة من أجل حقّ المرأة في المشاركة الفعلية في صنع القرار السياسي، إن بتوسيع دورها داخل السلطة التشريعية عبر فرض قانون انتخابي جديد يعتمد النسبية خارج القيد الطائفي ومعهما الكوتا النسائية المرحلية والمؤقتة وصولا إلى المناصفة، أم بزيادة دور المراة وموقعها في السلطة التنفيذية وفي البلديات، لا سيما وأنها برهنت، في هذا المجال الأخير، عن إمكانيات قيادية فعلية واستطاعت تحقيق إنجازات غير مسبوقة، خاصة في ظل الأزمة الاقتصادية والمالية والاجتماعية التي يمرّ بها لبنان منذ عدة أعوام والتي انفجرت في 17 أكتوبر / تشرين الأول من العام 2019.

هذه الصورة السريعة، وبالتحديد الدور الذي لعبته المرأة اللبنانية إبان الانتفاضة الهادفة إلى الخلاص من نظام المحاصصة والفساد، تؤكد، رغم السلبيات التي لا زالت تعترض طريق المساواة، على عزم النساء في لبنان على المضي قدماً بإتجاه إنجاز التغيير نحو مستقبل زاهر على الصعيدين الاجتماعي والوطني العام. وهذا ما يعطي لنضالهن القوة والثبات.

توحيد الرؤى حول أجندة النساء في ظل المتغيرات الآنية

من المهم ونحن نتناول أجندة النساء في ظل المتغيرات التى تشهدها بلادنا، السودان ، والدفع بها لحيز التنفيذ، أن نضع في الاعتبار الشرائح المختلفة من النساء، وما تحتاجه قضايا ومشاكل كل شريحة منها من معالجات.

وطبيعي أن يكون لقضايا المرأة العاملة موقع الصدارة، فهناك حاجة لإعادة مراجعة قوانين الخدمة العامة، والوقوف بشكل خاص أمام مراجعة أوضاع العاملات في القطاع الخاص، بما في ذلك سنّ قانون لحماية المرأة العاملة في القطاع غير المنظم، ومعالجة أوضاع المرأة الريفية ودورها في عملية الإنتاج، وضرورة دعمها بما يلزم من وسائل الانتاج.

فايزة نُقد – السودان

ومن الشرائح التي تحتاج أوضاعهن لوقفة جادة شريحة النساء النازحات، وضرورة تنظيمهن لضمان حقوقهن، وهناك أهمية أيضاً لإيلاء قضية النساء المهاجرات عناية أكبر ولفت أنظار العالم إلى معاناتهن، والدعوة لحملة تضامن عالمية معهن، بالنظر لما يعانين منه من صعوبات كبيرة.

ولا يمكن الحديث عن قضايا النساء السودانيات، وأوجه ما يتعرضن له من تمييز، وأيضاً تسليط الدور على أدوارهن، دون أن نقف أمام الدور الاقتصادي لربات البيوت ودورهن الاجتماعي في الحفاظ على تماسك وبقاء الأسر، وفي هذا المجال تبرز ضرورة تنظيمهن في جمعيات تعاونية، وكذلك ضرورة تدريب النساء المسؤولات عن الأسر بتقديم العون القانوني عن طريق المنظمات الديمقراطية والطوعية والدولة.

وبالمثل؛ فإن الشابات، بمن فيهن الطالبات، يواجهن بدورهن مظاهر من الاستغلال الاقتصادي، الجديرة بأن تحظى من قبلنا بتسليط الضوء عليها، والعمل على إيقافها، في إطار الاهتمام بمعاناة الأجيال الشابة من النساء، اللواتي نعوّل عليهن في مستقبل بلادنا ومجتمعنا.

ويجب أن نجعل من مواجهة ما يمكن أن نطلق عليه التحرش الجنسي، جزءاً من الخطاب السياسي عموماً، علينا لفت الأنظار إلى زواج صغيرات السن، وما تتعرض له المشردات من مضايقات، وأن نؤكد على الدور المتعين على الدولة أن تنهض به في التصدي لذلك، وكذلك المنظمات المعنية بقضايا المرأة والدفاع عن حقوقها.

وفي المجمل فإن قضايا المراة لا بد أن تكون في جدول العمل السياسي، وأن تبذل جهود أكبر لإبراز قضاياها كنوع، وهذا يتطلب جدولة أو ترتيب أولويات مطالبها الملحة، وبينها:

تأكيد الدور الاجتماعي للدولة والالتزام بتقديم الخدمات الأساسية: (التعليم، الصحة، توفير المياه النقية، توفير الخدمات الكهربائية والسكن الملائم اللائق بالكرامة الانسانية)، فمثل هذه الخدمات ذات تأثير مباشر على وضع المرأة.

تمكين المراة (حسب ثقلها وكفاءتها) لتتبوأ المواقع القيادية في جهاز الدولة ومواقع اتخاذ القرار، وفي المؤسسات التشريعية والتنفيذية، وكذلك في الأحزاب والنقابات وكافة مؤسسات المجتمع المدني.

مراجعة قانون الأحوال الشخصية ليتسق ويتكامل مع الدستور الوطني الديمقراطي المرتقب، وأيضاً مع المواثيق الدولية ليصون للمراة السودانية حقوقها في (القوامة – الحضانة – الشهادة – الإرث وعقد الزواج والطلاق والنفقة).

إلغاء القوانين التى تحطّ من كرامة المراة وتبيح الاعتداء على جسدها وكرامتها، ومن بينها: قانون النظام العام، قانون امن المجتمع، ضبط الشارع، وممارسة الضغط للتوقيع على الإتفاقيات الدولية والتى تضع حداً لكافة أشاكل التمييز ضد المراة.

وضع بذرة (في الفترة الانتقالية) لجعل احتياجات المراة (النوعية) أحد المرتكزات الاساسية لبرنامج التنمية.

تنظيم الفقراء (نساءاً ورجالاً) في جمعيات تعاونية إنتاجية في القطاع الزراعي والصناعي لمحاربة الفقر.

المحافظة على حق الأجر المتساوي للعمل المتساوي وإجازة الحمل والوضع مدفوعة الأجر مع قيام رياض أطفال ملحقة بأماكن العمل.

اعتبار الاغتصاب في مناطق النزاعات جريمة من جرائم الحرب.

تجاوز مناهج التعليم التى تكرّس دونية المراة واضطهادها.

كفالة حق التعليم والعمل للمراة، والاهتمام بالجانب الثقافي في القضية النسائية، فالصراع الثقافي شاق ويحتاج لصبر، لأنه من الصعب تغيير تقاليد وثقل التكوينات الاجتماعية التى تكونت منذ آلالف السنين، فلا بدّ من تنمية عادات ثقافية طويلة النفس لنواجه بها عادات ضارة مترسخة، لا تقاوم بالقوانين والقرارات فقط، وهذا يتطلب خلق وعي جديد هدفه تثبيت أن قضية تحرير المراة هي جزء لا يتجزأ من عملية تغيير المجتمع، تقوم به قوى التغيير، نساءاً ورجالاً، كما أن طريق تحرير المجتمع كله من الاضطهاد الطبقي والإثني والثقافي طريق شاق تشارك في تحقيقه المراة والرجل معاً، فحركة تحرير المراة ليست موجهة ضد الرجل، وإنما ضد المنظومة الاجتماعية القائمة على الاستبداد والتمييز .

الثامن من آذار ونضال الحركة النسوية العراقية

تعتبر ثورة العشرين هي البداية للحركة النسوية العراقية في الريف، حين ساهمت المرأة في الثورة وبأساليب مختلفة منها مساعدة الثوار في نقل المؤن والأسلحة وتشجيع الرجال للنضال ضد الإنكليز، عن طريق إلقاء الأهازيج والشعر لرفع الحماس ومواجهة استشهاد الأبناء والأخوة بشجاعة.

شميران مروكل – العراق

وفي العاصمة بغداد تشكّلت اللجان النسائية لدعم الثوار، وتكفلت بجمع التبرعات والترويج لأهداف الثورة التي تعتبر المدرسة الأولى لنمو الوعي الوطني التي مهدت الطريق لانتشار الأفكار الداعية لإعطاء المجال لمشاركة المرأة في الحياة الثقافية والاجتماعية، وتمت على مراحل ولسنوات الثلاثينات والأربعينات ازدياد عدد الفتيات في المراحل المختلفة للتعليم والمشاركة الفعلية في الحياة السياسية وتأسيس منظمات تتبنى اهدافها واصدار صحف ومجلات تنطق بلسانها وتدافع عن حقوقها، والربط بين قضية المرأة والقضية الوطنية بمشاركتها في التظاهرات للمطالبة بالخبز والحريات، وتنفيذ العديد من النشاطات الاجتماعية والثقافية وطرح قضايا تتعلق بحقوق المرأة للنقاش، وكانت للمرأة العراقية ونتيجة لتطور وعيها السياسي وحسها الوطني مشاركة فعالة في وثبة كانون 1948 واستشهدت (بهيجة) فتاة الجسر بعد أن تعرضت التظاهرة للقمع، وكانت تلك بداية حملة رجعية لاعتقال النساء المناضلات والحكم عليهن بالسجن لمدد مختلفة.

وفي الخمسينات تطورت الحركة النسوية العراقية بتأسيس منظمات ذات طابع جماهيري من حيث تركيبتها وتوجهاتها وأهدافها ونشاطاتها، وتقدّم عدد من النساء التقدميات بطلب لإجازة منظمة نسائية باسم «جمعية تحرير المرأة»، تميزت أهدافها بالجمع بين قضايا المرأة الخاصة والقضايا الوطنية العامة، ولكنها لم تجز من قبل وزارة الداخلية آنذاك، وفي 10 – 3 –1952 وفي اجتماع موسع للطليعة التقدمية من النساء العراقيات أُعلن في بغدادعن تأسيس (رابطة الدفاع عن حقوق المرأة في العراق)، كمنظمة نسوية ديمقراطية جماهيرية تضمّ نساء العراق على اختلاف طبقاتهن واتجاهاتهن السياسية ومعتقداتهن الدينية والتي تحول اسمها عام 1959 إلى (رابطة المرأة العراقية) وحددت أهدافها في:

– النضال من أجل السلم والتحرر الوطني والديمقراطية.
النضال من أجل حقوق المرأة ومساواتها
لنضال من أجل حماية الطفولة وسعادتها

وحصلت الرابطة على حق العمل العلني عام 1958، وفتحت لها مقرات وفروعاً في كافة أنحاء العراق وقدّمت مشروعا تحت اسم (قانون الأحوال الشخصية رقم 188 لعام 1959)، وشهدت الحركة النسوية تحجيما وتراجعا بعد انقلاب شباط 1963 وإلغاء عمل المنظمات المدافعة عن حقوق المرأة ولكنها استأنفت نشاطها بإعادة (رابطة المرأة العراقية) صلاتها بعضواتها بعد عودتها للعمل في الاعوام 1964–1965، وفي عام 1969عادت الرابطة إلى النشاط بعقد كونفرنس موسع نظمته الرابطة لتدارس أوضاع المرأة، بمشاركة نساء من عموم مناطق العراق رغم عدم حصولها على إجازة عمل وشهدت سنوات منتصف السبعينات انتعاش الحركة النسائية على نطاق جماهيري وحصول المرأة على مكاسب جديدة نتيجة لنضالات المرأة وتأثيرات السنة العالمية للمرأة 1975، واتخذت الرابطة قراراً بتجميد نشاطها كإجراء اضطراري نظراً للهجمة الواسعة التي واجهتها النساء الناشطات من قبل الأجهزة الأمنية في زمن النظام السابق والممارسات القمعية، وفي شباط 1979 قررت سكرتارية الرابطة إلغاء قرار التجميد والعودة إلى النشاط للدفاع عن المرأة وحقوقها.

وبمناسبة الثامن من آذار نقدم باسم رابطة المرأة العراقية أجمل التهاني للنساء في كل بقاع العالم، وهن يخضن نضالاً متعدد الأوجه، متنوع الآليات، لتنال المرأة حقوقها المشروعة والمدونة في الشرعة الدولية والدساتير الوطنية، والتي يتم تجاوزها دائما بهذا القدر أو ذاك، ولأسباب عديدة من قبل القوى السياسية المتنفذة والماسكة بزمام سياسات البلدان.

وفي العراق، مازالت النساء يواجهن استمرار التجاوزات على حقوقهن، بالرغم من أنها محمية بالدستور العراقي ويعشن أوضاعاً مؤلمة بسبب الظروف الأمنية غير المستقرة، وزيادة أعداد الأرامل والمطلقات، كما تدّل على ذلك أرقام وجداول وإحصائيات وزارة التخطيط، وهذا يتزامن مع ارتفاع نسب تسرب الفتيات من التعليم بمراحله المختلفة، وغياب تكافؤ الفرص للحصول على عمل وندرة البرامج الحكومية لتأهيل النساء والفتيات لتمكينهن اقتصاديا لضمان فرص العمل.

وبهذه المناسبة نودّ تذكيرالمؤسسات الدولية أنه ما زالت الآلاف من النساء العراقيات الأزيديات وغيرهن اللواتي تمّ سبيهن من قبل عصابات داعش منذ 2014 مجهولات المصير ومئات النساء والفتيات من الضحايا الناجيات هن بحاجة إلى الرعاية النفسية والمعنوية وتوفير فرص جديدة للحياة لهن.

وتعاني المرأة لليوم من الفكر الذكوري الذي يحمي الممارسات اللا إنسانية تجاهها، ويشجع على زواج القاصرات وزواج النهوة والفصلية وقوانين تخفف أحكام جريمة قتل النساء المتزايدة بحجة غسل العار وحماية الشرف. وفي ظل الأوضاع التي يمرّ بها عالمنا بسبب جائحة كورونا باتت المرأة تعاني المزيد من العنف الأسري وتقدم الجهات المعنية أرقاماً مخيفة بهذا الشأن.

نود كذلك الإشارة الى تراجع دور المرأة في كافة المجالات، وبالأخص في مجال صنع القرارت السياسية والاقتصادية، بالرغم من أن نسبة النساء في برلمان العراق 25٪ ، ويعدّ من أول البلدان العربية التي تبنت تنفيذ القرار الدولي 1325منذ سنوات لدعم تمكين ومساهمة المرأة في تحقيق السلام والأمن، كما تمّ اطلاق خطة العمل الوطنية الثانية لتمتد بين اعوام 2021 الى 2024 .

في هذه المناسبة العالمية نطالب بإلغاء كافة التشريعات المجحفة بحق المرأة، والتي تبيح زواج القاصرات وجرائم غسل العار وتشريع القوانين الرادعة للحماية من العنف الأسري، ورفض كل اشكال العنف والانتهاكات المنهجة التي تواجهها النساء .

الحركة النسوية في تونس بين الأمس واليوم

حنان محجوبي

تعود جذور الحركة النسائية في تونس إلى الموروث الثقافي ـ الاجتماعي المتعلّق بمكانة المرأة في المجتمع. وهي مكانة تتغيّر بحسب الحقب التاريخية والفئات الاجتماعية.

ولقداعتمد الحبيب بورقيبة على هذا الموروث الثقافي والاجتماعي للمرأة التونسية وللمجتمع التونسي وعلى المدّ النضالي للحركة النسوية الذي غذته ودعمته حركة الاصلاح والحركة الوطنية والحركة الشيوعية، وعلى النخوة والشعور بالعزة اللذان ولّدهما الاستقلال لدى الشعب التونسي وعلى سلطته المعنوية عليه وعلى المساندة التي لقيها من مشائخ الزيتونة المصلحين، أقدم إصدار مجلة الأحوال الشخصية في 13 أوت 1956، فكانت بمثابة تتويج لاقتحام المرأة منذ قرون للمجال العام الذي احتكره الرجل ولحركة فكرية استمرت لأكثر من قرن، كثفها الحبيب بورقيبة، في الاحتفال بهذه المناسبة، بوضعه «سفساري» امرأة شعبية باعتباره عنوانا لحرّية المرأة.

وتواصل تنفيذ مشروع الدولة الحديثة في قطع خطوات جادة في إدماج المرأة في الحياة العامّة والخروج بها من موقع الدونية إلى الإقرار بحقوقها وبمساواتها مع الرجل، فكان تعميم التعليم البوابة الأولى التي تمكنت من خلال جعل الاختلاط بين الجنسين حركة مجتمعية، ثمّ تبعه التشغيل الذي أخرج المرأة نهائيا من الفضاء المنزلي لتصبح شريكة في الفضاء العام. وبذلك حدثت النقلة النوعية من المجتمع التقليدي المحافظ إلى مجتمع الحداثة.

وعلى هذا الأساس دخلت الحركة النسوية طورا جديدا في نضالها، بحيث خرجت من طور العمل على انتزاع اعتراف بوجود المرأة كإنسان لها حقوق مشروعة خاصة وأنها تتحمّل عبئا ثقيلا في حماية الأسرة وصون حياتها وتقوم بعمل جبار في هذا الشأن غير معترف به اجتماعيا رغم أنها تمثل نصف المجتمع، لتدخل مجال دعم مكاسبها من أجل تحقيق المساواة الفعلية بينها وبين الرجل.

وبما أن النظام السياسي كان يمثل في الأساس الطبقات السائدة في المجتمع التي كانت في حاجة إلى القوى العاملة مطواعة ومعدّة إعدادا جيدا مهنيا وثقافيا قبلت مكرهة بالخيارات الحداثية لدولة الاستقلال باعتبارها تخدم مصالحها في النهاية غير أنها واصلت تتعامل مع المرأة بدونية وتمييز، وبما أنه أيضا كان دكتاتوريا فإنه لم يسمح لمختلف التعبيرات الخارجة عنه ولها خيارات وآراء أخرى ومطالب أخرى غير تلك التي قبل بتلبيتها واجهها بالقمع.

هذا الشيء جعل الحركة النسوية تنقسم إلى فئتين أساسيتين، واحدة إلى جانب السلطة وتابعة لها تطبق سياساتها وتقوم بالتعبئة لفائدته ويمثلها «الاتحاد الوطني للمرأة التونسية» أو كما هو مشاع تسميته «الاتحاد النسائي». وظل على هذا الحال منذ تأسيسه بعد الاستقلال إلى حدود الحراك الشعبي ومغادرة بن علي الحكم وحلّ التجمع الدستوري في2011 وتركت المنظمات والجمعيات التابعة له معروضة لمن يأخذها، ففكرت مجموعة من المناضلات النسويات مستقلات عموما إعادة تنشيط هذه المنظمة على أساس أرضية جديدة مدافعة عن المرأة، وكان لها ما أرادت بعد عناء كبير، سواء من جهة الحكومات المتعاقبة التي تريد قبرها أو من جهة القوى الديمقراطية واليسارية التي تتطيّر منها بسبب ارتباطها السابق بالحزب الحاكم أو جراء الخوف الداخلي من خطر التوظيف السياسي، وهي الآن بصدد أخذ موقعها تدريجيا في فضاء المجتمع المدني.

أما الفئة الثانية فهي معارضة ذات هوية ديمقراطية اجتماعية ويسارية، بدأت تظهر إلى الوجود منذ أواخر السبعينات مع نادي دراسة قضايا المرأة، وتكوين «نادي الطاهر الحداد» في مطلع الثمانينات و»لجنة المرأة العاملة» التي أصبحت تابعة للاتحاد العام التونسي للشغل، وفي أواسط الثمانينات ظهرت أيضا مجلة «نساء».

ومنذ الندوة الصحفية التي عقدها الاتجاه الإسلامي في 1984 والتي قدّم فيها توجهاته السياسية «الجديدة» واستعداده للعمل السياسي القانوني ودعا فيها إلى مراجعة مجلة الأحوال الشخصية بما في ذلك القبول بزوجة ثانية في حالات بعينها وعودة المرأة إلى البيت لمعالجة مشكل البطالة التي كانت بصدد التفاقم وقتذاك. الشيء الذي أشعر المرأة التونسية والقوى الديمقراطية واليسارية بأن الخطر داهم على مكاسب مجتمعنا الحداثية، ويتهدد المرأة في حقوقها الأولية للعودة بها إلى عصور الظلام، فكانت ردّة الفعل عامة بحيث تصدى لها الجميع مما أجبره على التراجع للإقرار بالخطأ حينا وللإدعاء بإخراج القول من سياقه أحيانا أخرى.

وتواصل الدفاع عن قضية المرأة سواء في إطار النوادي أو المجموعات الحزبية الخاصة بالمرأة التابعة للآحزاب اليسارية أو اتحاد الشغل أو في إطار «جمعية النساء الديمقراطيات»، التي تأسست سنة 1989، أو «الكريديف». ممّا جعل النضال النسوي يأخذ تدريجيا طابعاً سياسياً صريحاً معارضاً للسلطة وللإسلام السياسي، وذلك رغم المكاسب الجديدة التي تحصلت عليها المرأة ومنها حق الولاية كما الرجل على الأطفال، حق المتزوجة بأجنبي في إعطاء الجنسية لأبنائها وحق المسلمة الزواج بغير المسلم...إلخ.

ومنذ 14 جانفي 2011 ضغطت مختلف جماعات الإسلام السياسي على المرأة مستغلة حالة الارتداد الاجتماعي الذي أصاب المجتمع التونسي وأدخل الشك والريبة في مكاسبه الحداثية التي أتت بها دولة الاستقلال، ومنها بالتحديد حرية المرأة ومساواتها مع الرجل، لتسلط ضغطا جبارا على المرأة لإجبارها على التراجع عن الفضاء العام لتعود إلى «قبر الحياة»، ممّا أجبرها على ارتداء الحجاب والخمار كي لا تتهم بالتبرج وتتجنب شرّ التحرّش، وتكفي متابعة ما ينشر في وسائل الاتصال الاجتماعي لنتأكد من أن الخطر داهم وبأنه سيأتي على الأخضر واليابس.

لكن منذ أن أصبحت المواجهة مفتوحة بين جماعات الإسلام السياسي والمدافعين عن الجمهورية ومكاسبها برزت المرأة التونسية بصورة خاصة في هذه المعركة بحيث لم تترك فضاء واحداً لم تنتصب سداً منيعاً أمام جحافل الظلام. كانت دائما في الصفوف الأمامية في المواجهات وفي رفع الشعارات وفي لجان الحماية والتعبئة. وهذا التواجد له صلة مباشرة بوعيها بالخطر الداهم عليها وعلى المجتمع والدولة وبإيمانها العميق بأن قضيتها متلازمة مع القضية الديمقراطية في المجتمع بصورة عامة وبقيم الجمهورية والحداثة. ولا غرابة بأن نجدها في كل التحركات التي رافقت تداول المجلس التأسيسي بشأن دستور الجمهورية الثانية، ممّا يعني أن وحدة نشأت بين دفاعها عن مكاسبها وبين الطفرة الجمهورية التي أخذت مكانها في وعي الناس الذين ظلوا معتصمين أمام مقرّ المجلس التأسيسي مطالبين بدستور جمهوري ديمقراطي وبرحيل حكومة الترويكا وبالكشف عمن تورط من قريب أو من بعيد في اغتيال شكري بلعيد ومحمد البراهمي. وهي ظاهرة تدعونا إلى القول بأن تلاحماً بصدد الحدوث بين حركة المرأة التونسية والطفرة الجمهورية منذ بدأ النضال ضد الدكتاتورية والاستبداد يتبلور إلى أن أصبح يعبر عن نفسه في صيغة انحياز معلن.

وكانت الانتخابات التأسيسية محطة من المحطات السياسية والنضالية الكبرى التي تجلى فيها هذا التلاحم. والجميع يشهد أنها تواصل وقوفها بأكثر تصميم وقوة إلى اليوم في المعارك، وستواصل تحمّل مسؤوليتها كاملة لأنها مدركة أن حريتها لا تتحقق إلا في صلة بالحرية في المجتمع وأن المساواة بينها وبين الرجل لا تتحقق إلا في إطار تحقق المساواة في المجتمع بين مختلف أفراده، دون اعتبار للفوارق في اللون والجنس والعقيدة والجهة والثقافة والعرق والمركز الاجتماعي، ولأنها مدركة أيضا أن مواطنتها لن تكون لها معنى إذا لم يكن المجتمع قائم على المواطنة، وإذا لم تكن الديمقراطية هي الأسلوب الذي يدار به الشأن العام. ولأنها مدركة في النهاية أن حريتها ومساواتها مع الرجل ومواطنتها لن تتحقق إلا في ظل الجمهورية، الجمهورية الديمقراطية الاجتماعية، كما صاغها الحراك الاجتماعي والسياسي التونسي.

وخلاصة القول ما كان للمرأة التونسية أن تكون كما هي عليه لولا المخزون التاريخي الثقافي والاجتماعي والحضاري الذي شهدت وشهده مجتمعنا التونسي منذ مئات السنين، وهي لا محالة بصدد تمثل دورها ومكانتها في الدفاع عن الجمهورية ومكاسبها بما يساعدها على أن يكون لها قول فصل في كل القضايا التي تهم حاضرنا ومستقبلنا.

(قف)

المجتمع الأمريكي بين الإنقسام والديمقراطية المعتدلة

عندما يستهل الرئيس الأمريكي الجديد عهده بمخاطبة الرأي العام الأمريكي بالقول: «لا يمكننا ترك الأمريكيين يجوعون أو يطردون من بيوتهم، ويفقدون وظائفهم»، فهذا معناه استشعار بخطر تصدّع المجتمع، وان ما يواجه الداخل الأمريكي من خطر ليس نتاج أسباب خارجية، إنما نتيجة معضلة داخلية تكمن في ازدياد الفجوة بين مختلف ألوان وأطياف وطبقات الشعب الأمريكي، وذلك بعد بعد استشراس الرأسمالية الأمريكية لصالح تعزيز سطوة شركات التكنولوجيا والصناعات العسكرية المرتبطة بالدولة العميقة ارتباطاً وثيقاً.

فهد المضحكي

جاء ذلك في تحليل لموقع «المراقب» ولكن يجري ذلك على حساب أهمال الرعاية الصحية والعائدات المالية والتعويضات الاجتماعية التي تخصّ عامة الشعب، إضافة إلى انكشاف واخفاق وعجز الإدارة الأمريكية في مواجهة جانحة كورونا.

بدأ الداخل الأمريكي في مشهد غير مألوف، فهناك مشاكل عدة تفاقمت منها المشكلة المزمنة، وهي عنصرية اللون بين الأبيض والأسود، وازدياد الفارق الطبقي في المجتمع بين مواطن ومهاجر، إضافة إلى تراجع واضح في ميزان الناتج القومي وانخفاض معدل النمو الاقتصادي لأدنى مستوى منذ عقود خلت نتيجة العوامل التي ذكرت والتي اسهمت في تعميق الفوارق الطبقية والإنشقاق بين مختلف مكونات المجتمع الأمريكي، لتنتقل أمريكا بعدها إلى مرحلة أخطر وهي مرحلة الإنقسام العمودي على مستوى الشعب، بين مناهض لسياسات الدولة العميقة وبين مؤيد للرئيس السابق دونالد ترامب الذي اجتهد في تعصبه لمصلحة أمريكا بمعزل عن أجندة الدولة العميقة، ولوكان ذلك عن طريق السطو على ثروات دول لتوظيفها في مصلحة بنوك أمريكا ولمصلحة الشعب الأمريكي.

انقسم المجتمع الأمريكي بين مؤيد لترامب وبين مؤيد لجوزيف بايدن الموصوف أنه سليل الدولة العميقة، انقسام تُرجم بأعمال شغب وفوضى في الشارع الأمريكي نتج عنه ما عرف ب «غزوة الكابيتول» فضاعت الديمقراطية في زواريب واشنطن، الأمر الذي أدى إلى احتلال المبنى لساعات، ما استوجب استدعاء الحرس الوطني الأمريكي لإنهائه، وهكذا استطاعت الدولة العميقة فرض ديمقراطيتها بقوة العسكر وبالتالي تثبيت فوز مرشحها بايدن رئيساً لأمريكا.

انقسم المحللون وأصحاب الرأي بين إمكانية تجاوز أمريكا للإنقسام الداخلي بترميم الديمقراطة فيها، وبين من رأى أن ما شهدته أمريكا مؤخراً خلق مناخاً جديداً سيعمق الانقسام مستقبلاً، وخصوصاً أن قسماً من المجتمع الأمريكي تذوق طعم التمرد على الشرعية في محاولة لمنعها من فرض ديمقراطية مزيفة، وأنه لن يكون باستطاعة أمريكا تجاوز ارتدادات ما حصل لأنه سيشكل عاملاً ضاغطاً على الإدارة الأمريكية للانكباب على ترميم ديمقراطيتها المعتلة والبحث عن السبل الآيلة لإصلاح البيت الأمريكي الداخلي.

بعد دخوله البيت الأبيض صرح بايدن أن اولوياته هي إعادة اللحمة وتعزيز الاتحاد في المجتمع وهذا دليل بأن إرهاصات الإنقسام الداخلي قد بلغت مرحلة خطيرة إلى مستوى غير مسبوق في تاريخ أمريكا، وباتت تهدد معها أسس النظام، وإن اصلاح ذات البين في الداخل الأمريكي سيحتاج إلى وقت طويل.

وبالانتقال إلى منطقتنا العربية وأزماتها المفتوحة نرى أن بعض الجهات تعوّل على تغيير في نمط سلوك الإدارة الأمريكية الجديدة وانها ستكون أكثر عقلانية من سابقتها في التعاطي مع القضية الفلسطينية وإيران وسوريا والعراق واليمن وليبيا.

وفي نظرة سريعة على مكون أعضاء إدارة بايدن يتضح لنا عبثية هذا التعويل، لأن هؤلاء داعمون للعدو الإسرائيلي بشكل مطلق، وهم انفسهم أصحاب فكرة تقسيم العراق، وهم من رافضي تنفيذ الإنسحاب الأمريكي من سوريا، وهم الداعون للاستيلاء على نفط العراق وسوريا، وهم اصحاب مشروع اقتطاع شرق الجزيرة عن سوريا وتنصيب شخصية سورية رئيساً عليها شبيهة ب» اخوان غوايدو» في تكرار للسيناريو الفنزويلي لإبقاء المنطقة بحالة اضطراب مع حروب مفتوحة بالوساطة من خلال اعادة الحياة في «الإسلام السياسي» واطلاق جديد لتنظيم داعش في كل من سوريا والعراق ولبنان وتنظيم الإخوان في كل من تونس ومصر والسودان وليبيا.

في روسيا اقتتحت إدارة بايدن عهدها بتورط فاضح في محاولة افتعال ربيع روسي من خلال استثمار قضية المعارض الروسي الكسي نافالتي، وبالنسبة لإيران وبرغم إعلان بايدن رغبته بالعودة إلى الإتفاق النووي مع طهران، يبدو أن الدولة العميقة في أمريكا صعّدت من شروطها مضيفة برنامج إيران الصاروخي وانضمام دول الجوار بما فيها إسرائيل بحجة تطوير الإتفاق.

صحيح أن الاهتمام الأمريكي حالياً منصب على تلميع صورتها عالمياً من خلال اعادة الإنخراط في معاهدة المناخ في باريس واعادة العمل باتفاقية سارت للحد من انتشار الأسلحة النووية، لكن الهدف الأساسي لإدارة بايدن هو إعادة ترميم التحالف الأوروبي الأمريكي، وربطه بها لتشكيل جبهة مواجهة ضد الصين وروسيا، لذلك نرى تناغماً فرنسياً ألمانياً لتنفيذ رغبات إدارة بايدن الموالية للدولة العميقة في أمريكا تحمل معها مؤشرات تصعيد الحروب في دول المنطقة الداعمة لمحور المقاومة مترافقة مع ضغط اقتصدي وعسكري متواصل.

هاشم لم يمت وإنما شُبه لهم

حميد الملا

كانت زوجته تنتظره بعينين مليئتين بالحيرة والشوق والخوف، وكان يهجس بينه وبين نفسه: كان من الصعب علي تركها في وسط الفراغ، وكان من الصعب عليها ثنيه عما آمن به واعتبره مدخلاً لاسعاد شعبه، فقالت له وهي تودعه: سأظلّ فيك ومعك حتى آخر العمر، حبك لوطنك وشعبك سرقك مني يا هاشم، أحبك وسأحكي كثيراً عن حلمك في كل مكان ولكل منَ ألقاه، في الأسواق والمقاهي وأثناء السفر وفي حلي وترحالي، النضال من أجل شعبك سرقك ألقه المذهل، وقادك نحو الاستشهاد فكنت لا تقرّ ولا تستقر من أجل إسعاد شعبك.

فجر ذلك اليوم البعيد، الحادي عشر من سبتمبر من العام 1986، الدهشة والخوف يلفّ الوطن يوم أخذوك لزنازينهم المُظلمة. لا أتذكر الآن شيئاً مهماً سوى أني غضبت من صمتي أمام القتلة، هل كان ضعفاً أم خوفاً عليك؟ هي بعض مسالك الذاكرة ترتسم أمامي بعد كل هذه السنين الطوال.

آه يا قلبي المحزون مضى على استشهادك 36 عاماً، وها أنذا أظلّ فيك ومعك رغم تلك السنين. تذكرت الآن الطريق إلى المقبرة، البنايات، الشوارع، سوق المنامة القديم، المآذن، وجوه المارة، السيارات على جانبي الطريق، وهي تسير الهوينا والناس تحت فعل الدهشة مستاءة ومستنكرة ما حدث وكيف حدث وما الجرم الذي استدعى القتل الشنيع لطبيب لا ذنب له.

أسئلة كثيرة تزاحمت بدماغي المثقل بالهموم، لكني فضلت الصّمت أمام هذ المشهد الرهيب، مازال أذان الظهر في ذلك اليوم وأنا في طريقي إلى بيت هاشم يوقظ غفوتي من حين لآخر، وأمواج الحزن تتكسر عند أقدامي، باندفاع كان يفوق طاقتي على التحمل، تركت لدموعي أن تنهمر كالسيل وبلعت ألم الحمل وألم الفراق دفعة واحدة وأردت لصغيري الذي في بطني أن يعيش هذا المشهد الإجرامي الذي وضعني القتلة فيه دون أن يرقّ لهم جفن .

استعدت في لمح البصر لحظات الأيام الأخيرة بكاملها بقداستها وعنفوانها فأفقت مذعورة من هول ما حدث، وبصقت عليهم بكل ما أملك من قوة على ما فعلوه. هاشم نوري الذي أرى به الدنيا قتلتموه ويتمتموا طفلين لاذنب لهما. صرخت في وجوههم ورحت في غيبوبة الانفعال أُهدي كالمجنونة؛ لم تقتلوه ولكن شبه لكم، فالشهداء لا يموتون، الشهداء باقون. بعدها نزلت عليّ كآبة من الصمت لم أستطع تجنبها، تفاصيل كثيرة حدثت قبل أن أعود إلى المنزل نسيتها في ذلك اليوم الخميس المشؤوم الثامن عشر من سبتمبر في العام 1986.

قال لي هاشم: حلمنا بتطهير البلد من الفساد والظلم لينعم الوطن بالطمأنينة، ماذا بقى بين أيدينا غير الخوف والقلق على مستقبل أولادنا وأحفادنا، فلن يكون طريقنا معبداً بالورود، بل بالنضال ضد الخوف والهزائم الذاتية لنتستعيد ثقتنا بقدراتنا على مواصلة المسير.

طوقني فجأة وجه هاشم كالنسمة الدافئة في يوم شتوي ملئ بالحب والحنان بعد تذكري ما قال، فاستعدت ثقتي في نفسي وقلت سأظل فيك ومعك إلى أبد الآبدين، وهآنذا أقول بأن قلبي كان يحدثني إن ما خفي أفجع مما حدث وعند ذلك سبقتني دمعة مثقلة بالحزن والحنين فأبعدت كل وساوسي ورحت في حزن عميق.

إعلموا أيها الرفاق بأن هاشم كان يعشق الحياة لدرجة الوله، فحبّب إلينا كل الناس وصار محبوباً من كل الناس فحمل روحه على كفه ورحل من أجل الناس، وهو مبتسم بتلك الابتسامة الساحرة والساخرة من المعذبين والقتلة. رأيته قبل استشهاده في المحاكم يجرّ جسده النحيل بصعوبة كبيرة والقيود في معصميه وبتلك الثوب البيضاء وبابتسامته المميزة أومأ إلينا، وكأنما يحاول أن يستقبل موته بأكبر فرح ممكن وبأكبر نشوى وكأنما يسخر من جلاديه وما قد يصدر عليه من حكم وكأنما يقاوم بموته سلطان القتلة.

تقول ما أحوجني إليك الآن وإلى طلتك البهية، لأستعيدك كما أشتهي دوماً لرؤيتك ففقدك يؤلمني ورحيلك يؤرقني وبعدك يقتلني، فأنت الزوج وانت الرفيق والحبيب، وبعد أن أعدت شريط حياتنا الهاربة إنسحبت ووضعت رأسي بين يدي، وطفرت دموعي الفائضة لأقول: هو لم يمت ولكن شبه لهم فالشهداء لايموتون وإن غابوا عنا فهم حاضرون بيننا وساكنين في حنايانا ومُهجنا.

هل تعلمون بأن هاشم جاء إلى الشهادة وهو في عز عشقه للحياة دفاعاً عن المحرومين والمضطهدين والفقراء، رأيته وأنا أحاول أن أغمض عيني لأراه للمرة الأخيرة، وهو ينوء بأثقال حنينه اليهم، إلى أحبائه الكادحين أراه في "حبات البذار" و"نشيد الأممية" وفي أغاني العراق الوطنية ومسارح موسكو ينشد أشواقه وأحزانه.

أراكبصفائك وعنفوانك كنت الشجاع الذي اخترق الخوف وفتح لنا أمل التغيير بتلك المعنويات التي تهزّ الجبال وبتلك الإرادة الفولاذية التي عجز القتلة عن كسرها، فأقسم بكل غال ونفيس إنه لن يسلم لهم ما أرادوا معرفته عن رفاقه فزادهم حقداً وكراهية عليه، وماتوا بغيظهم قَبل أن يقتلوه لكن هاشم لم يمت بل شُبه لهم، شُبه لهم.

كارثة ذلك اليوم من الصعب عليّ استيعابها، أمضيتُ وقتاً طويلاً استرجع شريط لحظات استشهاده وهو الانسان المسالم، الرقيق، الأنيق، الطبيب، لم يحمل سلاحاً ولا حتى حجرا لمقاومتهم، ولكن حقدهم الأعمى قادهم إلى هذه الجريمة النكراء. كان الرعب يُقرأ في عيونهم منذ اللحظات الأولى لاعتقاله، ظلت حيرةٌ ما تؤرقني كيف تجرأوا على قتل هاشم ذلك الانسان الرقيق، طيب القلب الملئ دوما وأبداً بعزة النفس والمطمئن إلى ما يفعل، إنه العمى الذي يعمي البصر والبصيرة، ماذا ربحوا بقتله؟

كانت تقول كل شيء ينبئ بعد استشهاده بجرح لن يندمل أبداً، بل سيزداد عمقا عبر هذا الزمن القاسي فأي خراب يملأ قلبي بعدك يا هاشم؟. كنت أصرخ في صمتي ويأسي لكن ذلك الصوت وتلك الآلام يطويها الزمن المفقود والفراغات المخيفة. أحاول أن أُسمعهم شتائمي ودعواتي عليهم بما اقترفت أيديهم الملطخة بالدم، علهم يعرفوا مقدار الدمار الذي خلفوه. كان هاشم يعلمني كيف أنتزع الضحكة من ظلال الأحزان، لكن الدنيا تغيرت ولم تعد دنيا، والبلاد لم تعد لأهلها فكل شيء تغير حتى النفوس وكل شيء فقد طعمه بعدك يا نور عيني ويا مهجة فؤادي. مسحت الدمعات التي انزلقت من عينيها في غفلة منها واستحضرت بيت من شعر لبدر شاكر السيياب: "ولولا خيال في الدجي منك عادني / لذاب مع الأنفاس قلب بأضلعي».

فوجه هاشم ما يزال كالشمعة في ذاكرتي تضئ لي ما تبقي من حياة، له سحره الخاص، فلم أر شبيهاً له في حياتي، فلا أحد سواك يملك هذا النور المتوهج في عمق الظلمة فأنت ضوئي وضيائي. كل شيء تمّ داخل صمت مطبق بعد الإنتهاء من مراسم الدفن، وعلى الرغم من الجرح الذي يخط قلبها وفجيعتها تساءلت في حيرة كيف تُقتل نفس بريئة وبأي ذنب قُتلت؟

الشهيد هاشم العلوي مع زوجته الرفيقة إيمان شويطر أمام تمثال بدر شاكر السياب في البصرة

حامل في زمن «كوفيد»

طرقت عاملة المنزل باب غرفة مخدومها والذي يقيم في غرفة منفصلة عن زوجته. قالت: "سيدي أودّ أن افاتحك بأمر يخصني". توجس الرجل شراً، أسرعت هي بالقول: "أنا حامل ولا أدري ماذا أفعل". ارتسم الغضب والاستياء على وجه الرجل، حامل في زمن كوفيد، حيث صعوبة السفر وإغلاق المطارات وتعثر استقدام العمالة من الخارج، لم يدر ما يفعل إزاء هذه المفاجأة، قال لها: غداً افاتح زوجتي بالأمر، ونناقش المسألة بمختلف جوانبها، قبل أن يغلق باب غرفته،علقت العاملة: "سيدي، دعني اذهب إلى بلدي وأسوي أموري واعود إليكم. أنا فقيرة وعائلتي تعتمد على راتبي ولا أود خسارة ذلك من أجل خطأ غير مقصود".

عصمت الموسوي

في الصباح اجتمعت الأسرة واضعة أمامها عدة خيارات للتعامل مع حمل الشغالة، الابن الأكبر أصرّ على أخذها إلى الشرطة والتبليغ عن واقعة الحمل ثم تسفيرها على أقرب وأنسب رحلة طيران على حسابها الخاص عقابا لهاً على استهتارها. الأب اختار المعالجة الهادئة بعيداً عن "الشوشرة" والفضائح مفضلاً تسفيرها قبل تطور الحمل وإلغاء تأشيرتها والبحث عن عاملة منزلة جديدة .

أما الأم التي كانت أكثر حزناً من الجميع لشعورها بخسارة عاملة المنزل التي وثقت فيها، وقامت بتدريبها وتحملت أخطاءها وغفرت لها مراراً، فرأت منح عاملة المنزل فرصة جديدة ومختلفة هذه المرة لتصحيح ومعالجة خطأها في بلدها ومنحها تذكرة سفر مرجعة واستعادتها مجدداً.

وما هي إلا عدة ساعات حتى انقلب البيت رأساً على عقب. احتدم النقاش والصراخ وقرر الابن أنه سيترك البيت إذا تمّ الإبقاء على هذه المرأة التي رأى أن الأسرة تكافئها على خطأها بدلاً من معاقبتها وتسريحها وتحميلها وزر ذنبها.

عاملة المنزل الإفريقية تبلغ من العمر 27 عاماً، على قدر من الجاذبية والجمال.عاشت مع الأسرة أربعة أعوام تخللتها زيارة واحًدة إلى بلدها قالت إنها تتهيأ للزواج من أحد أبناء بلدها، حين عادت راحت تشتري لوازم للبيت المستقبلي من ستائر وأوان منزلية وغيرها، لا تبارح البيت إلا برفقة مخدومتها أو لشراء لوازمها الخاصة. لم تعترف عاملة المنزل بمن تسبب في حملها بل تذرعت بالقول إنها دخلت دورة مياه غير نظيفة في أحد الأسواق، وربما كان ذلك هو السبب. قال لها الابن بغضب: "قولي لزوجك إن والد الطفل هو الحمام".

الأخطاء تحدث وعلى جميع الأصعدة مع هذه النماذج من البشر الذين يفدون إلينا حاملين معهم إرثهم وثقافتهم المختلفة عنا، تاركين خلفهم عائلاتهم وعلاقاتهم وملاذاتهم الاجتماعية الآمنة، وكل يوم تسجل مراكز الشرطة ومقار إيواء العمال الوافدين والسفارات مئات الشكاوى للعمال ولعاملات المنازل، وللنساء النصيب الأكبر فيها، إذ قد يتعرضن للاغتصاب أو يستسلمن لنداء الطبيعة ولغريزة الجنس الجبارة الطاغية، أو يتم اغوائهن فينتهي الحال بهن إلى الحمل المباغت أو الإقدام على الإجهاض بوسائل بدائية أحيانا قد تعرض حياتهن للخطر.

انتصر قرار الأم وسافرت عاملة المنزل على أمل العودة بعد شهر، لكنها كتبت إلى مخدومتها رسالة على الواتس اب بعد وصولها تقول فيها: "سيدتي: شكراً على تعاطفك معي ومساعدتك لي، ولسوف أكون ممتنة لك طوال عمري، لكن الاجهاض فضلاً عن أنه محرم في ديني فإنه قد يحرمني أيضاً من فرصة الإنجاب مستقبلا".

ثم كتبت لاحقاً: "أنا في حيرة من أمري، ولا أدري ماذا أفعل؟ لكني أعتقد أنني سأبقى على الطفل هنا في بلدي وسوف ترعاه أمي وزوجي وأختي في حال حصلت على وظيفة جديدة خارج بلدي، وإذا رغبتم في استقدامي فسوف أكون جاهزة للقدوم بعد ولادة طفلي".

هذه العمالة المنزلية تعيش بين ظهرانينا، لها ما لها وعليها ما عليها، إلا أنها تتوغل عميقاً في أدقّ تفاصيل معاشنا، تربي أبناءنا والمسنين منا، ترعى شؤوننا في حضورنا وغيابنا، تصير جزءاً من نسيج حياتنا، لكن حين يصدر عنها خطأ ما يجري التعامل معها بوصفها مخلوقات غريبة، وكثيرون عند حدوث الإشكالات معها، ينزعون عنها لا مجرد حقوقها القانونية بل حتى هويتها الإنسانية التي يتشارك فيها جميع البشر، وهم "إما أخوة لنا في الدين أو نظراء لنا في الخلق" كما يفصل الإمام علي، ترى لو أن أحد ابنائنا أقدم على أخطاء مماثلة، هل كنا نكيل بنفس المكيال؟

الأزياء حكايات

كوكو شانيل وقصة نجاح

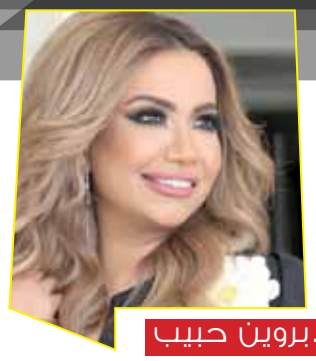

د.بروين حبيب

«الطبيعة تمنحكِ الوجه الذى تحملينه في العشرين، والحياة تشكل وجهكِ في الثلاثين، ولكن في الخمسين تحصلين على الوجه الذى تستحقينه».

بمقولة كوكو شانيل أبدأ، تلك المرأة التي استطاعت أن تصنع أسطورتها في عالم الموضة، فتحوّلت إلى مادة مليئة بالمغامرات لأكثر من ١٠ أفلام في السينما العالمية، وهذا ما جذب النجمة الشابة كرستين ستيورت لتصبح بطلة أحدث الأعمال السينمائية، فمن هي كوكو شانيل؟ وما الذي دفعها لتكون من أهم المؤثرات في عالم الموضة؟ وقد تركت بصمتها في أهم الماركات العالمية.

ولأننا مشغولون بحكايا النجاح، وليس أي نجاح، تخيلوا فقط طفلة يتيمة، تدعى جابرييل بونور شانيل وهو اسمها الحقيقي، تستطيع أن ترسم طريقها في عالم الشهرة، وأن تنتقل من دار الأيتام، إلى أهم دار في عالم التصميم والموضة.

ومما لا شك فيه، فإن للأزياءِ حكاياتٍ، ارتبطت بمن يقفون وراءَها، لا سيما في عاصمة الفن والجمال باريس، ويأتي اسم كوكو شانيل بين أهم عمالقة مبتكري تصاميم الأزياء في العالم.

ولدت كوكو شانيل في فرنسا 19 آب عام 1883، وعاشت في غرفة واحدة هي وإخوتها الخمسة، وكانت ببلدة في الريف الباريسي « Brive–la–Gaillarde". شاء القدر أن تفقد والدتها وهي في الثانية عشرة من العمر، بعد أن أصيبت بمرض السلّ، فأرسلها والدها لدار الأيتام وقد فتحت أمامها هذه الدار دربًا جديدًا، بعد أن بدأت تكتشف موهبتها في عالم الخياطة والرسم والتصميم، ولم يكن أمامها سوى طريق الحلم والتحدي.

فقد تعلمت الخياطة وأتقنتها في تلك الفترة، وحين بلغت الثامنة عشرة من العمر تركت الدار، إلى دار داخلية أخرى للفتيات، أتقنت خلالها الخياطة أكثر، ويرجع اسمها إلى أغنيتين شعبيتين تميزت في غنائهما ، Coco Ko Ko Ri Ko وQui qu›a vu Coco..

كانت مغنية، لكنها سرعان ما عادت إلى فن التصمصم الذي شكل لها هاجسًا حقيقيًا، ترسم تقص، تحاور الورق والقماش، ويفتنها اللون، لا سيما اللون الأسود، الذي يعتبر سيد الأوان. بدأت شانيل رحلة التصميم بابتكار تصاميم خاصة للقبعات النسائية، وحصلت على ترخيص كمصممة عام 1910، ثم افتتحت بوتيك بباريس أطلقت عليه اسم شانيل موديل، شكّل بداية لها في عالم التجارة وسرعان ما أطلقت أول عطر، إلى جانب ما تميزت به من تصاميم، لا سيما الفساتين التي حملت لونًا أسود، والتايورات " Chanel Modes".

بدأت ممثلات المسارح بارتداء قبعاتها، لاسيما غابرييل دورزيات في إحدى مسرحيات فيرناند نوزييغ " Bel Ami"، فانتشر الخبر في مجلة وكان هذا أكبر إعلان لها، بدأت بعدها ببيع القبعات بشكل خيالي، إذ تحوّلت إلى موضة زمانها. ثم أضافت الفساتين والتايورات، بعد نجاحها في تصميم فستان من قميص شتوي قديم، وما حققته من نجاح، وكانت ترد على الصحفيين: لقد بنيت ثروتي من هذا القميص الذي كنت أرتديه.

في عام 1920 أطلقت عطر شانيل 5، وكانت تتفاءل بهذا الرقم، بعد أن قالت لها عرافة تمسكي بالرقم خمسة، فإنه رقم الحظ لك. في عام 1925، واصلت مسيرتها بنجاح ملفت، وكان هذه المرة تصميم أسطوري أهم ما يميزه الأنوثة والبساطة الجارحة، طقم مكون من سترة بلا طوق مع تنورة من نفس قماش السترة، واعتبرت امرأة ثورية، كونها كانت تستعير تصاميم للرجال وتعدلها محققة شرط الراحة للمرأة.

وكأي سيدة أعمال وفنانة، عانت كوكو شانيل في فترة الحرب العالمية الثانية من ركود اقتصادي، أثر عليها. ويقال إنها كانت على علاقة مع ضابط ألماني، أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا، وقد تمّ استجوابها ولم توجه لها أي تهمة، رغم الشائعات الكثيرة حينها، وقضت بعدها عدداً من السنوات في سويسرا كنوع من راحة الفنان، بعيدًا عن أجواء القيل والقال، والحروب أيضًا.

بقي الحلم يراودها، بأن تبقى حاضرة في هذا العالم المثير للأضواء والشهرة، ولم يهمها أنها في سنّ الـ 70، عادت شانيل إلى عالم الموضة. تلقت تعليقات مسيئة من بعض النقاد، ولكن بتصاميمها الأنثوية المريحة حصلت على المتسوقين من جميع أنحاء العالم.

عام 1969، أصبحت قصة حياة شانيل الرائعة الأساس لمسرحية برادواي الموسيقية واعتبرت من أهم 100 شخصية عالمية مؤثرة في القرن العشرين، حسب مجلة التايم.

كوكو شانيل»مصممة الأزياء الفرنسية لا يزال اسمها خالدًا حتى الآن وتحلم جميلات العالم باقتناء قطعة أزياء أو حقيبة تحمل توقيع دارها العريقة، والاستمتاع بعطرها المميز.

ما تبقى من «كوكو شانيل» ليس فقط علامة الأزياء العريقة، ولكن أيضًا آراءَها ومقولاتها التي تعكس طريقة تفكيرها المميزة التي تحتاج كل فتاة للتعرف عليها، ومنها: بعض الناس يعتقدون أن الفخامة عكس الفقر، ولكن العكس هو الصحيح، فالفخامة هي عكس الابتذال. «كي تكوني امراةً عصيةً على الاستبدال، يجب أن تكونى دائمًا مختلفة». ارتدي فستانًا رثًا وسيتذكر الناس فستانك، ولكن إذا ارتديتى فستانًا أنيقًا سيتذكرون المرأة التي ترتديه»، «أي امرأة لا تضع العطر، هى امراةٌ لا مستقبل لها.»

آمنت بالبساطة، البساطة التي تكثف معنى الأناقة، فالبساطة هي كلمة السر للأناقة الحقيقية، وأجمل الألوان هو اللون الذي يبدو عليك جميلًا.

ولأنها أعطت معنىً للجسد، والحركة، والرشاقة، في منح القطعة التي تصممها معنىً، فقد اعتبرت أن الفستان قد يبدو جميلًا على الشماعة، لكنه يصبح أكثر جمالًا مع حركة الجسد والخصر، وروح صاحبته وحضورها الذي يمنح الأشياء جمالًا.

في العقل والجسد

هناك قول يبدو من ملسماتنا اليوم، والذي يرى بأن الجهاز الهضمي غير مستقل عن النشاط العقلي بل يظل عنصراً متواطئاً سلبا أو أيجاباً. قال المسلمون قديماً: «البِطنَةُ تُذهِبُ الفِطنة» ويقال أيضاً: «العقل السليم في الجسم السليم» ولا يُقصد هنا بالسليم حسب المناظير الجمالية، كأن يكون وفق مقومات محددة، أو يكون خاليا من أي إعاقة بدنية، ولكنه يبدو جليا للعيان أن الحالة المزاجية تؤثر بشكل أو بآخر على حالتنا الهضمية، والعكس صحيح، فنمط الغذاء السيء قد يبلد الحواس ويشعرنا بالخمول المزمن إذا ما تحول لعادة يومية. ونمط الغذاء الجيد يحسن من وظائف الجسد وبالتالي وظائف العقل.

أحمد السعيد

كان هناك اتجاهاً فلسفياً طاغياً يرى بأنه لبلوغ أقصى درجات الحكمة على الإنسان أن يهمل الجسد ومتطلباته، وهذا الرأي كان يرتبط بالصورة التي يرى فيها أهل هذا الفكر العالم والوجود. فقد تبنت بعض المدارس الفكرية الإسلامية النظرة القائلة بأن العالم مكون من سبعة أفلاك، الفلك الأول هو الأكثر قرباً من البارئ وبهذا هو الأكثر نوراً، وكلما هبطنا إلى فلك أدنى خفت هذا النور، حتى نصل لعالمنا، عالم المادة المظلم والمحجوب، ولتخطي هذا الحجاب على الإنسان أن يتخطى حاجات الجسد المادي، أو يهملها، فلا يمكن أن تتلقى نور الله أو الحكمة إلا بمجاهدة النفس ضد مطالب الجسد.

لا بد لهذه الأفكار أن تكون لها جذور أفلاطونية، حيث يرى أفلاطون أن الانفعالات تقيم في الجسد إقامة ضرورية، إلا أن الفكر كما النفس فإقامتهما عَرَضية. ولكن، إذا كانت الانفعالات والتحكم بها مصدرهما العقل، وبأن العقل يكمن في الجسد، فإن التفكير سيكون هنا بمثابة النقيض للجسد والذي لا يتم ويتكامل إلا بتغييب الأخير. هكذا حدث أن التأمل عند بعض الاتجاهات الفلسفية والدينية والوصول إلى الله أو الحقيقة يرتبط بإماته الجسد أو إهماله.

إن ما يعزز إهمال الجسد هو أننا سنجد نموذج من المثقفين يُعتبر قدوةً لدى البعض، فهو لا يهتم بالنمط الغذائي، ويأكل بنهم أو يتناول أطعمة تساهم في مضاعفة عِلّات البدن، أو لا يهتم بالهواء الذي يستنشقه فيدخن بشراهة عالية، ويفضل الجلوس على كرسي خشبي منشغلاً بما يسمى «بحثا علميا» دون أن يضع له برنامجا يومياً يحرك فيه أعضاء بدنه.

إننا لا يمكن أن نصل للعمق من خلال سطح ميت، فالحواس هي المصدر الرئيس للمعرفة، إن هذه البلادة البدنية تقود إلى بلادة الحواس أو حسب قول نيتشه إلى بلادة ذهنية: «إن خمولاً صغيراً في الأمعاء يكفي إذا ما تحوّل لعادة سيئة أن يجعل من العبقري شيئاً رديئا». ربما يكون نيتشه أكثر من اهتم بالجسد والحث على الاهتمام به، حيث كان يحرص على أن يهتم الإنسان ليس فقط بالغذاء، بل بالهواء الذي يستنشقه، وأن يأخذ كفايته من النوم أيضاً، وأن يحرص على الحركة والرياضة.

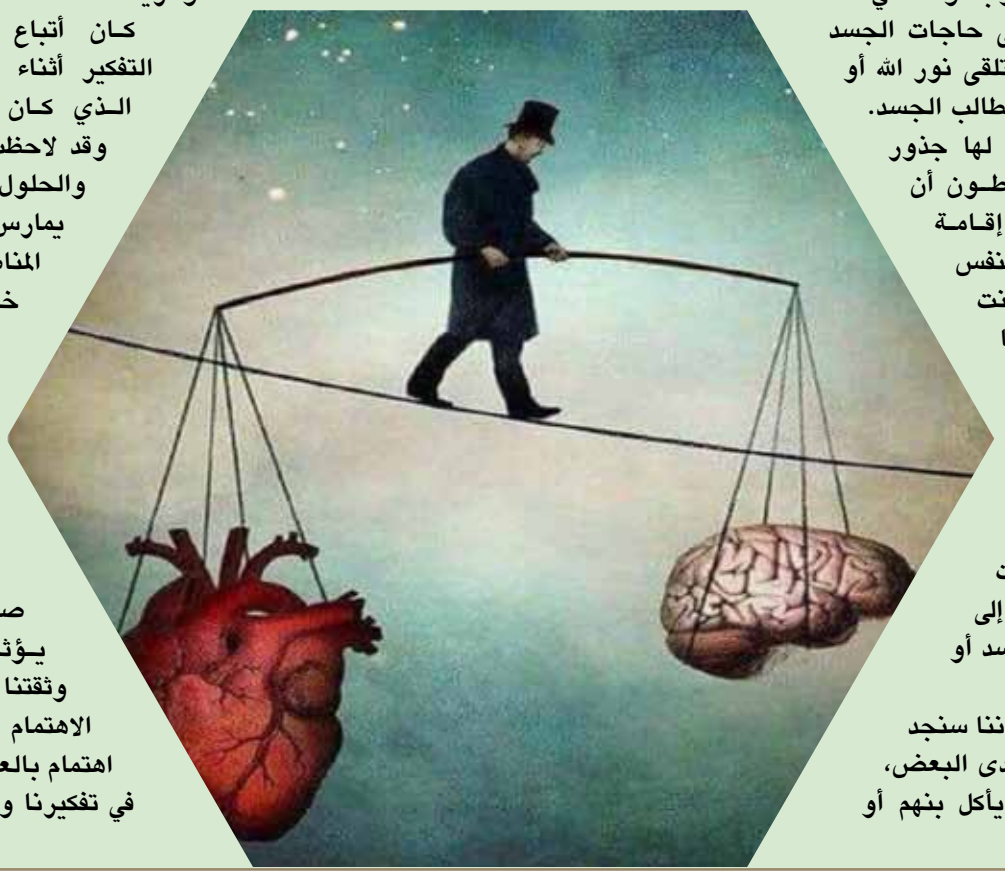

كان أتباع المدرسة المشائية يمارسون التفكير أثناء المشي، لربما اقتداءً بأرسطو الذي كان يلقي بعض دروسه ماشياً، وقد لاحظت أن كثيرا من الأفكار الجيدة والحلول للمشكلات تأتي الإنسان حين يمارس رياضة المشي، خصوصا في المناطق المفتوحة، فنحن نفكر من خلال أجسادنا، ليس لأن العقل وحده يكمن في الجسد، بل لأن العقل والجسد هما شيء واحد، وإن عملية التفكير ليست حصرا على الدماغ وحدة، بل هي عملية تشترك فيها جميع حواسنا وأعضائنا البدنية، وحتى صورتنا الخارجية ومظهرنا يؤثر على صورتنا الداخلية وثقتنا في أنفسنا. لذا فالحرص على الاهتمام بالجسد وصحته هو بمثابة اهتمام بالعقل أيضا وينم عن ذاك التوازن في تفكيرنا ونظرتنا للحياة.

إنجلز ضد ماركس*؟

مائتا عام من فريدريك إنجلز (٣)

عمل ستالين على تجسيد المُخطط التاريخي المُقدم في مُقدمة ماركس في عام ١٨٥٩ لمُساهمتهِ في نقد الإقتصاد السياسي من أجل استبعاد مفهوم ماركس وإنجلز التقليدي عن «نمط الإنتاج الآسيوي» والتي كانا يهدِفان من خلالها إلى فهم العلاقات الطبقية القمعية في المجتمعات التي ليس لها علاقات مُلكية خاصة والتي يمكن نشرها بسهولة لإلقاء الضوء على العلاقات الطبقية في روسيا السوفيتية. وإذا كان المنطق السياسي وراء هذا القرار واضحاً بما فيه الكفاية، فإن حقيقة أنه أثناء محاولتهُ، تبرير دور الدولة في التنمية الإقتصادية السوفيتية، شعر ستالين مع ذلك بأنهُ مُضطر إلى قلب تفسير ماركس للعلاقة بين القاعدة والبُنية الفوقية، كما هو موضح في هذا المقال المشهور، حيث قام بِمُراجعة فكر ماركس وإنجلز ليس كجزء من تقليد متطور صُحي من التحقيق فحسب، بل من خلال المطالب غير المُتماسِكة المُرتبِطة بالمهمة الأكثر دنيوية المُتمثِلة في تبرير المؤهلات الإشتراكية «لمجتمع غير اشتراكي».

ترجمة:
غريب عوض

وكما يحدث، ليس فقط فكر إنجلز غير المُتوافق مع الأيديولوجية الستالينية فحسب، بل أفكارهُ يمكن أن تكون وقد تم استخلاصها بشكل مُربِح لفهم جوهر الستالينية الثوري المُعاكس. وبهذا المعنى على الأقل، تُعبِر مُراجعات ستالين للماركسية عن فهمهِ الأفضل للتأثيرات الثورية النقدية لفكر إنجلز مما هو واضح في أعمال العديد من الفصيل المُناهض لإنجلز: لإن أفكار إنجلز بالتحديد كانت انتقادية وثورية لدرجة أنها كانت غير مُتوافقة مع ديكتاتورية ستالين. وإذا ساعد الجوهر الثوري لفكر إنجلز في توضيح لماذا سعى ستالين إلى تحييد ماركسيته، فإن الآثار المُعادية للستالينية من عمله هي سبب وجيه لضرورة أن تسعى المجتمعات الحديثة إلى إعادة تقييم صادِقة لمُساهمتهِ في النظرية الاجتماعية والسياسية.

يمكن طرح نقطة مُماثِلة فيما يتعلق بمفهوم إنجلز الخبيث عن ديالكتيك الطبيعة. مُنذُ نشر كتاب لوكش Lukács "التاريخ والوعي الطبقي» في عام 1923، تضمنت إحدى السمات المُحددة لتقليد الماركسية الغربية، رفضاً لمحاولة إنجلز تجذير النظرية الماركسية في الفهم الديالكتيكي للطبيعة.

في هذا الكتاب اقترح لوكاش بأنّ توسع إنجلز غير الموفق في مفهوم الديالكتيك من النطاق الاجتماعي إلى النطاق الطبيعي جعلهُ يهمل "التفاعل الأكثر حيوية، تحديداً العلاقة الديالكتيكية بين الذات والموضوع في العملية التاريخية"، والتي بدونها "الديالكتيك لم يعُد ثورياً." ومن المُثير للإهتمام، أنهُ على الرغم من أن نقد لوكاش لفكر إنجلز كان لهُ تأثير قوي للغاية على الأدبيات المُناهضة لإنجلز، إلا أنهُ سريع إلى حد ما، ولا يزيد عن تعليق عابر تدعمهُ حاشية سُفلية من اثنى عشر سطراً. إضافةً إلى أن هذا التعليق تمت موازنته بتعليقات أُخرى في النص بدت أكثر توافقاً مع حجج إنجلز، على سبيل المثال، حيثُ كَتَبَ عن "ضرورة فصل الديالكتيك الموضوعي للطبيعة عن ديالكتيك المجتمع." كما سيحدث في غضون عامين من نشر كتاب "التاريخ والوعي الطبقي"، لقد كتب لوكاش بشكل أكثر جوهرية، وأكثر إيجابية بكثير، حول فكرة الديالكتيك في الطبيعة:

«من الواضح أن الديالكتيك لا يمكن أن يكون فعالاً كمبدأ موضوعي لتطور المجتمع، إذا لم يكن موجوداً فعالاً بالفعل كمبدأ لتطور الطبيعة قبل المجتمع، إذا لم يكن موجوداً بالفعل بشكل موضوعي. ومع ذلك، لا يترتب على ذلك أن التطور الإجتماعي لا يمكن أن ينتج أشكالاً جديدة وموضوعية للحركة، ولا الحركات الديالكتيكية، في تطور الطبيعة ستكون قابلة للمعرِفة بدون وساطة الأشكال الإجتماعية الديالكتيكية الجديدة».

هذا المقطع دليل على أن لوكاش استمرّ في رفض الإختزال الفلسفي، دون الإنهيار، كما حذر أنطونيو غرامشي وكارل كورش من أنهُ نتيجة مُحتملة لرفض ديالكتيك الطبيعة، في "الخطأ المُعاكس ... بشكل من أشكال المثالية". ولسوء الحظ، بينما لوكاش Lukacs وغرامشي Gramsci وكورش Korsch مَيّزا بين التفسيرات الإختزالية وغير الإختزالية لفكرة إنجلز عن ديالكتيك الطبيعة، يميل نُقاد إنجلز المُعاصِرون إلى الإصرار على أن مفهوم ديالكتيك الطبيعة يفسح المجال حتماً للمادية الميكانيكية والوضعية.

لقد جادل جون بالمي فوستر John Bellamy Foster بأن هذا النقد الموجه إلى إنجلز انبثق من تفسير أُحادي الجانب لما يُسميه بـ "مشكلة لوكاش." في حين أن لوكاش، في كتابه «التاريخ والوعي الطبقي»، جمع بشكل غير مُترابط بين إنكار أن الطريقة الديالكتيكية قابلة للتطبيق على الطبيعة بسبب البُعد الذاتي المفقود مع الإعتراف بوجود ديالكتيك مُميّز وموضوعي وطبيعي، فإن الماركسية الغربية تميلُ ببساطة إلى إنكار وجود ديالكتيك في الطبيعة.

وهذا الزعم لا يتعارض فقط مع ما نعرفهُ عن تعليقات ماركس الداعمة بشكل عام لعمل إنجلز حول ديالكتيك الطبيعة، ولكنهُ يدعم أيضاً ميلاً قوياً نحو أشكال المثالية الفلسفية. وبالتالي، بدلاً من استكشاف عمل ماركس بحثاً عن أدوات تُساعد في إبعاد الماركسية عن المآزِق المُزدوجة للمادية الميكانيكية من جهة والمثالية الفلسفية من جهة أخرى، مال الماركسيون الغربيون إلى تقديم دعم لمشروع دق إسفين بين تفسير مِثالي لماركس وتفسير مادي ميكانيكي لإنجلز.

وفي تناقض مع هذه المُقاربة، على إثر تتبع جون بالمي فوستر لكل من أندرو فينبيرغ Andrew Feenberg، و ألفريد شمدت Alfred Shmidt، وضح كيفية، إنهُ من خلال مفهوم النشاط البشري الحسي، يُقدم عمل ماركس الأدوات اللازمة لفهم العلاقة الديالكتيكية بين الطبيعة والمجتمع. يقول جون بالمي فوستر، تفترض مادية ماركس ما يُسميه شكلاً من أشكال "التطبيق الطبيعي" التي من خلالهِ يُفهم أن المُمارسة الحسية للإنسان تتجسد في العالَم الحسي.نفسه.

إن تصوراتنا عن العالم مُتجذِرة في حواسنا الطبيعية، ولكن، على عكس التجريبية، فإن الحواس التي من خلالها تدرك الطبيعة نفسها ليست مُجرد مُتلقٍ سلبي للمعلومات من العالَم الخارجي، ولكنها عمليات

بقلم:
Paul Blackledge

نشطة ومُتطوّرة داخل العالم الطبيعي والتي يستمر تطوّرها ويتعمق من خلال تفاعل البشرية المُثمِر مع الطبيعة. ويصِرُ جون بالمي فوستر على أن مفهوم التطبيق الطبيعي مُتوافق مع مفهوم إنجلز المُنبثق من الواقع مع تجنُب مآزق القِراءات الأختزالية لعمل إنجلز.

علاوة على ذلك، والأكثر إثارة للأهتمام، أنهُ يُجادل بأن مفهوم التطبيق العملي هذا يتوافق مع الاهتمامات البيئية المُعاصِرة. ومن خلال تهيئة اهتمام علوم البيئة الحديثة بتوحيد البشرية مع الطبيعة، يفتح تصوّر إنجلز لديالكتيك الطبيعة مساحة يمكن من خلالها فهم الأزمات البيئية فيما يتعلق بالطبيعة المُنفردة للعلاقات الإجتماعية الرأسمالية. ولأن الإنتاج أولاً وقبلَ كل شيء هو تبادل استقلابي مع الطبيعة، فإن علاقات الإنتاج الإقصائية تتضمن علاقات إقصائية بالطبيعة نفسها. وبالتالي، فإن نفس القوى التي تدعم ميل الرأسمالية نحو الأزمات الإقتصادية تولّد اتجاهات موازية نحو الأزمات البيئية. وبالتالي، فإن فهم ماركس وإنجلز لوحدة الإنسانية والطبيعة يوحي بمنظور ثوري لهُ نِطاق سياسي واجتماعي وبيئي في نفس الوقت: لن تتضمن الثورة الإشتراكية مُجرد تحوّل في العلاقات الإجتماعية والسياسية، بل ستشمل أيضاً بالضرورة تحول جذري علاقة البشرية بالطبيعة. فالعلاقة الداخلية بين الأزمة الرأسمالية والأزمة البيئية تُخبر مُحاجة جون بالمي فوستر بأن إنجلز يزعم أن "الطبيعة هي البُرهان على الديالكتيك" يُمكن ويجب تصحيحها حتى تُصبح "إن "علم البيئة" قد أصبح "البرهان على الديالكتيك." لذلك، في حين أن نُقاد إنجلز يميلون إلى إعادة تصوّر ماركس على أنهُ مُجرد مُنظّر اجتماعي، فإن كتابات إنجلز الفلسفية تُلقي الضوء على البُعد الإيكولوجي القوي لفكرهِ وفكر ماركس، وبالتالي الصلة الداخلية بين الإهتمامات البيئية ومُناهضة الرأسمالية.

تُوضح مُحاجة جون بالمي فوستر بقوة اعتقادي بأنهُ سيكون من الخطأ الجسيم إغفال مُساهمة إنجلز الأساسية والإيجابية للغاية والتي لا تزال ذات صلة بالنظرية والمُمارسة الإشتراكية. ويُشارك فكرهِ في نِقاط القوة المركزية لعمل ماركس، الذي غالباً ما كان يُخطط لمواضيعه، بينما قدم مُساهمات قوية ومُستقلة للماركسية في حد ذاتهِ. وأعتقد أن اليسار سيستفيد بشكل كبير من إعادة تقييم جادة لعمله.

(يتبع)

* هذا المقال هو إقتباس من مُقدمة كتاب Paul Blackledge الأخير، فريدريك إنجلز والنظرية الإجتماعية والسياسية الحديثة.

عولمة الرأسمال أم عولمة الإنسان

جلال إبراهيم

تُعرّف العولمة لغةً بأنها مصدر الفعل عَوْلَم، وهي حريّة انتقال المعلومات، وتدفق رؤوس الأموال، والأفكار المختلفة، والتكنولوجيا، والمنتجات والسلع، كما تمثل انتقال البشر أيضاً بين المجتمعات الإنسانيّة المختلفة، حيث يؤدي ذلك إلى جعل العالم أشبه بقرية صغيرة. أما في القاموس الماركسي فينظر إلى العولمة كأي ظاهرة اجتماعية واقتصادية متناقضة، أي أنها اتحاد أضداد متصارعة لكل منها قواه وإمكانياته وعلى مدى تفوق أي من الضدين يتوقف مصيرها بل ومصير البشرية.

في كتابها "العولمة"* تشير الكاتبة العراقية سعاد خيري إلى ضرورة قراءة كتاب ماركس "رأس المال" بعمق لدراسة كُنه الرأسمالية ومراحلها ومن ثم دراسة كتاب لينين "الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية" لإدراك المنهج التطوري لمراحل الرأسمالية وبلوغها مرحلة عولمة الرأسمال. إن عولمة الرأسمال تمثل النقيض للعولمة الإنسانية، حيث تمثل الأولى أداة أساسية وضاربة للرأسمالية وعلى رأسها الامبريالية الأمريكية، التي لا تعترف بالحدود الجغرافية ولا بالقوانين الدولية التي شرعتها البشرية ولا سيادة دول أو حرمة شعوب ولا بحقوق إنسان وقواعد للحروب وضمانات للسلام. ولذلك فإن عولمة الرأسمال تؤدي إلى: عولمة الحروب والإرهاب، عولمة الجوع والإفقار، عولمة البطالة والجهل والمرض.

د. سعاد خيري

إن العلاقة بين العولمتين (عولمة الرأسمال وعولمة الإنسان) علاقة تناحرية بسبب التناقض الحاد بينهما في المنطلقات والأهداف. فإذا كانت عولمة الإنسان تهدف إلى استغلال التقدم الهائل في العلوم والتكنولوجيا والمكننة ووسائل الإنتاج والمواصلات والاتصالات من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والعيش الكريم وتوفير سبل الراحة والرفاهية بتقليل ساعات العمل، فإن عولمة الرأسمال هدفها دائما زيادة الأرباح وتراكم المال وإن استدعى ذلك الضغط على العمال أو تسريح الآلاف منهم أو حتى بغزو البلدان ونهب ثرواتها وخيراتها بمبررات واهية وكاذبة، كما حدث في احتلال الأميركان للعرق في 2003 بحجة وجود أسلحة الدمار الشامل .

إن السمات الاقتصادية والسياسية التي تتصف بها عولمة الرأسمال تشكل خطرا كبيرا، ليس على الدول الفقيرة فحسب، بل وعلى الفقراء والطبقة الوسطى في الدول الرأسمالية الكبرى أيضاً. وتُشير سعاد خيري إلى هذه السمات بالتفصيل والشرح الواسع في كتابها آنف الذكر، حيث ألخصها في النقاط التالية: تعميق التناقض بين العمل والرأسمال، تعميق التمايز بين المراكز والأطراف، الشركات متعددة الجنسية، هيمنة الرأسمال المالي على الاقتصاد العالمي، تحويل الدولة لأداة في خدمة الرأسمال، إخضاع المنظمات الدولية لمصلحة الرأسمال العالمي.

وإذا كانت البشرية لم تعرف وتائر ومجالات للتغيرات كالتي نعيشها اليوم، بفضل الثورة العلمية التكنولوجية، فإن من الواجب والمهم تسخيرها لخدمة البشرية، وهذا الحلم لا يتحقق إلا في إطار تقوية ونشر ثقافة عولمة الإنسان، التي من خلالها يمكن إشاعة المنجزات العلمية وتبادل الخيرات والتجارب، بدلا من احتكارها أو التحكم بها بصورة أنانية متوحشة في ظل سيطرة عولمة الرأسمال.

ومن المهم عند الحديث عن العولمة التمييز بين جانبيها: العولمة الإنسانية وعولمة الرأسمال المتناقضتين والمتناحرتين. فالخلط بينهما لا يخدم سوى أعداء البشرية ولذلك تروج وسائل الإعلام الجبارة لمصطلح العولمة المجردة لتظليل البشرية وإسدال الستار على الأفق المشرق للبشرية بدون الرأسمالية، وإضعاف ثقة البشرية بقدرتها على التحرر من علاقات الانتاج الرأسمالية.

لماذا عولمة الإنسان، لأنها تعمل ضد هيمنة الإمبريالية المتوحشة وعولمة الرأسمال اللاإنسانية، ولأنها تسعى إلى فرض عولمتها: عولمة الحرية والرفاه، عولمة السلام والتقدم المضطرد لعموم البشرية، عولمة التمتع بكل منجزات البشرية والحضارية.

* سعاد خيري: "العولمة، وحدة وصراع النقيضين، عولمة الرأسمال والعولمة الإنسانية" – دار الكنوز الأدبية، الطبعة الأولى 2000

مُريد الذي أرانا رام الله

تعرّفتُ على مريد البرغوثي، أول مرة، أواخر سبعينيات، أومطالع ثمانينيات، القرن الماضي، حيث التقينا مرات في مؤتمرات وفعاليات اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي (WFDY)، الذي كان مريد عضواً في مكتبه التنفيذي ممثلاً لفلسطين، وأذكر موقفه الداعم لاختيارمنظمتنا الشبابية يومها، اتحاد الشباب الديمقراطي البحراني، في إحدى الهيئات القيادية في الاتحاد العالمي المذكور.

د. حسن مدن

توطدت صداقتنا لاحقاً في التسعينات، فترة عملي في الشارقة، ومن خلاله تعرفتُ على زوجته ورفيقة دربه الراحلة الأديبة والناقدة الكبيرة د. رضوى عاشور، حيث زارا الشارقة أكثر من مرة للمشاركة في أنشطة ثقافية، معاً او منفردين، أحدها كان معرض الشارقة الدولي للكتاب في إحدى دوراته، حيث أقام مريد أمسية شعرية، فيما قدّمت رضوى محاضرة قيّمة عن ثلاثيتها الشهيرة: "غرناطة، مريمة، الرحيل"، التي كانت، يومها، حديثة الصدور في طبعتها الأولى عن دار الهلال.

وبعد عودتي للوطن في مطالع الألفية الجديدة، التقيت بمريد في البحرين أكثر من مرة، وأذكر أني قدّمته في أمسية بمركز الشيخ إبراهيم آل خليفة عن كتابه النثري الثاني: "ولدتُ هناك.. ولدتُ هنا"، حيث قرأ منه أحد نصوصه، بعد أن تحدث عن فكرة الكتاب ومحتواه.

علاقتي بمريد الشاعر والأديب لا تقل عن علاقتي به كإنسان، أنا الذي أُخذتُ بنصوصه الشعرية، حتى أني اخترت مقطعاً من أحدها لأصدّر به كتابي: "ترميم الذاكرة"، وهو المقطع القائل: "أتعبتني يا دورة المفتاح/ في الباب الذي ما خلفه أحد"، تعبيراً عن وحشة المنفى، الذي كابده مريد، لأنه، شأنه شأن أجيال من الفلسطينيين، وجد نفسه محروماً من العودة إلى فلسطين، هو المولود في إحدى بلداتها، بلدة "دير غسانة" بالضفة الغربية، ليس بعيداً عن رام الله، بعد احتلالها من الصهاينة في عدوان 1967، وكان يومها يدرس الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة.

ليست فلسطين وحدها من وجد مريد نفسه منفياً عنها، فقد أبعد من مصر التي أقام فيها رفقة زميلته في كلية الآداب، التي أصبحت زوجته وأم ابنهما الوحيد الشاعر تميم، رضوى، حيث عمل مريد، بعد تخرجه من الجامعة، في إذاعة فلسطين في القاهرة، ولكنه أبعد قسراً بعد زيارة السادات للكنيست، ليجد نفسه يتنقل بين المنافي، حتى أنه أحصى في كتابه "رأيت رام الله" عدد البيوت التي عاش فيها، فبلغ رقماً كبيراً تجاوز الثلاثين.

لا يكفي الحديث عن مريد الشاعر المتميز فقط، إذ لا بد من الوقوف مطولاً أمام كتابيه النثريين: "رأيت رام الله"، و"ولدتُ هناك .. ولدتُ هنا"، ويمكن النظر إلى الأول بصفته واحداً من أهم وأرق وأعمق كتب السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، وكتبه بعد زيارته الأولى لرام الله ودير غسانة بعد غياب طويل دام ثلاثة عقود، لا ليحكي فيه سيرته وحده، وإنما سيرة التراجيديا والبطولة الفلسطينيتين عامة.

ولبلوغ هذه الفكرة لن أجد أبلغ من قول مريد نفسه: "أنا أكبر من إسرائيل بأربع سنوات (في إشارة إلى أنه ولد في العام 1944)، والمؤكد أني سأموت قبل تحرير بلدي من الاحتلال الإسرائيلي. عمري الذي عشت معظمه في المنافي تركني محملاً بغربة لا شفاء منها، وذاكرة لا يمكن أن يوقفها شيء. عندما سمح لي بزيارة فلسطين بعد ثلاثين سنة من العيش في أماكن الآخرين. لم أكن بحاجة لمعايشة أماكن الماضي، بل ماضي الأماكن". وفي هذا يصف مريد شعور كل من وجدوا أنفسهم طويلاً خارج أوطانهم قسراً.

ومريد الذي كان يعرف أنه سيموت قبل أن تتحرر بلده من الاحتلال، كان على يقين أيضاً من أن الفلسطينيين لم يخسروا وطنهم "في مباراة للمنطق" بحيث يستردوها "بالبراهين". المساجلة في هذا أمر عبثي، وربما هذا ما أراد مريد شرحه في "رأيت رام الله"، حين أوضح أنه «من السهل طمس الحقيقة بحيلة لغوية بسيطة: ابدأ حكايتك من «ثانيا». وهو الأمر الذي يعني تجاهل ما حدث أولاً، فغالباً ما يكون أولاً هو المقدمة و»ثانياً» هو النتيجة، حين تلغي أولاً تصبح النتيجة سبباً وردة الفعل تصبح هي الفعل، وما أكثر التجليات لهذا الأمر في الحياة، كم من «الوقائع» تفبرك دون أن تكون قد حدثت أصلاً، وكم من الوقائع تُخرج من سياقها، وتُسقط بعض عناصرها، فتحمل من الدلالات نقيض ما كانت عليه في الأصل.

هذا ما حدث ويحدث مع القضية الفلسطينية؛ طمس البدايات، والبدء مما تلاها في صوغ سردية مزيفة عما جرى حقيقة، ومع أن مريد يؤكد على أنه "علينا أن نعترف بأننا مسؤولون أيضاً. جهلنا مسؤول. قصر نظرنا التاريخي مسؤول، وكذلك صراعاتنا الداخلية، وخذلان عمقنا العربي المكوّن من دول معجبة بمستعمريها حد الفضيحة"، لكنه يرى أن "تاريخنا ضبطنا في لحظة كنا فيها في قاع الضعف. في قاع النعاس. بوسعنا الآن أن نقول لأطفالنا إن النعاس لن يظل نصيبهم إلى الأبد ولا إلى بعض الأبد».

وفي النظر إلى الإنسان الفلسطيني، فإن مريد لا يختلف عن محمود درويش، في التأكيد على ضرورة كسر الصورة النمطية عن الفلسطيني المحصورة في "الضحية"، أو "البطل"، إنه كما محمود يؤكد على أننا "نحب الحياة ما استطعنا إليها سبيلا"، ففي قصيدته "الشهوات"، يُعبّر مريد عن مجموعة رغبات، والتي على فرط بداهتها و"طبيعيتها" لم تعد متاحة للفلسطينيين، الذين كان قدر أجيال منهم أن تولد لتناضل من أجل استعادة الحق المغتصب، لا من أجل أن تعيش حياتها العادية بكل تفاصيلها.

من بين تلك الرغبات التي عبّرت عنها القصيدة: «شهوة لبلاد تطالب أبناءها/ بأقل من الموت جيلاً فجيلاً، وفيها من الوقت وقت نخصصه/ للخطايا الحميمة والغلط الآدمي البسيط/ وزحزحة الافتراض البطولي عنّا قليلا/ فمسكينةٌ أمة حين تحتاج كل البطولات من كل أبنائها/ وتعيش الحياة قتيلاً قتيلاً".

من تلك الرغبات أيضاً، حسب الشاعر "شهوة أن تضايقنا في المرايا ككل العباد/ التجاعيد حول الجفون"، في إشارة إلى الفتيان والشبان الذين يستشهدون مبكراً وهم في مقتبل الحياة، فما أن تتفتح زهرات أعمارهم حتى يخطفهم الموت، فلا يبلغون كهولتهم أو شيخوختهم، كي تضايقهم في المرايا تجاعيد الوجوه، ككل العباد، "شهوة أن نُعلق في غرف النوم لوحاتنا الغامضات/ وليس شريط السواد على صورة الغائبين".

***

برحيل مريد خسر الشعر الفلسطيني، والعربي عامة، واحداً من أكثر وجوهه موهبة وتميزاً ورقـة، كما خسرت الحركة الثقافية الفلسطينية واحداً من أكثر وجوها نقاء والتزاماً بالموقف الوطني الفلسطيني المبدئي، وهو الموقف الذي عبّر عنه، لا في نصوصه الشعرية والنثرية وحدها، وإنمـا في مجمل مواقفه المعلنة، مع ما جرّه عليه ذلك من تبعات، سواء كانت تلك المتصلة بالسياسة الرسمية الفلسطينية، خاصة بعد توقيع إتفاقيات «أوسلو»، أو تلك التي تتصل بالشأن العربي عامة.

قبل عشر أعوام، حين اندلعت الانتفاضات والاحتجاجات العربية من أجل الديمقراطية والحرية والخبز والكرامة الإنسانية، رفض مريد إطلاق مصطلح "الربيع العربي" كإشارة للثورة، مؤكداً أنه "مصطلح زراعي موسمي تافه، يغفل الدم المسفوك وجرائم القتلة ويطمس شرف السعي الدائم للكرامة"، مضيفاً: «أن الثورة لها اسم واحد هو"الثورة"، وأن الحاكم يسميها "مؤامرة" والراغبون في دخولها خريف الموت يسمونها "الربيع" والإعلام يتواطأ مع الطرفين "ضدها».

قال مريد أيضاً: "إن الثورة هي أقصى درجات النقد الجماعي للدكتاتور، ولا تستمر إلا إذا واصلت نقدها لذاتها أثناء النضال وبعد نجاحها أيضاً. الثورة هي استمرار النقد"، وتابع قائلاً : «حتى الطغاة يمكن أن يكونوا مع"الربيع" فهذا لا يكلفهم شيئاً لكن العسير أن يكونوا مع "الثورة" لأنها تكلفهم عروشهم، واستطرد:"ما أتفه مصطلح الربيع العربي".

أكانت تلك نبوءة شاعر مبدع؟ ربما، ولكن لمريد نبوءة أخرى لا تقلّ بلاغة، وردت في أحد دواينه الشعرية قبل احتجاجات 2011 بعقود، اختارها المفكر المصري الكبير نصر حامد أبو زيد ليستهل بها كتابه المهم: "التفكير في زمن التكفير"، وفيها يقول مريد: «قبائلنا تسترد مفاتنها/ في زمان إنقراض القبائل». أليس ذلك توصيفاً أو ما يشابهه للحال التي نحن فيها من انفجار الهويات الفرعية، قبلية وطائفية ومذهبية وعشائرية؟.

أهل الاستبداد ماهرون في "ابتكار" سبل استمرار استبدادهم، حتى لا يكون هناك مكان للرأي الآخر، الرأي الرافض لاستبدادهم والساعي لاقتلاع جـذوره. أليس هذا ما عناه مريد في قصيدته " المرآة" عن وال حذّرته عرّافة من الموت إن هو لم يستشر الرعية في أمور الولاية، وخوفاً من الموت دعا الـوالي وجهاء القوم للمشورة. وحين دخل عليهم وهم ينتظرونه أخرج مرآة من جيبه، وحدّق بإعجاب في صورته. سأل الصورة المشورة، ولما أجابت شكرها، ثم كسرها "مخافة أن يعوّدها على حق الكلام!".

لا بــأس

مُريد البرغوثي

لا بأسَ أن نموتَ في فِراشِنا
على مِخَدَّةٍ نظيفةٍ
وبين أصدقائِنا

***
لا بأسَ أن نموتَ مَرَّةً
ونَعْقدَ اليديْنِ فَوْقَ الصَّدْرِ
ليس فيهما سوى الشُّحوبِ
لا خُدوشَ فيهما ولا قُيودْ
لا رايةً
ولا عَريضَةَ احتِجاج

***
لا بأسَ أن نموت مِيتةً بلا غُبارْ
وليس في قُمْصانِنا
ثُقوبْ
وليس في ضُلوعِنا
أَدِلَّة

***
لا بأسَ أن نموت والمخدَّةُ البيضاءُ،
لا الرصيفُ
تحتَ خَدِّنا
وكَفُّنا في كَفِّ مَن نُحِبّ،
يُحيطُنا يأسُ الطبيبِ والممرِّضات
وما لنا سوى رَشاقَةِ الوداعِ
غَيرَ عابِئين بالأيام
تاركين هذا الكونَ في أَحوالِهِ
لعلَّ «غَيْرَنا"
يُغَيِّرونَها.

التنوير في الأدب البحريني (٢- ٢)

لا شك أن أمكنة اللقاءات التي تجمع الأدباء والمثقفين والكتاب والفنانين وغيرهم، مثل المقاهي الشعبية، والصالونات الأدبية والثقافية، وبعض منازل رجالات المجتمع، كل هذا هي منارات ثقافية أتت أكلها، كمقاهي باريس التي أشار لها جيرار، وجورج لومير في كتابهما (المقاهي الأدبية من القاهرة إلى باريس)، وكذلك صالونات مصر كصالون مي زيادة، أو صالون عباس محمود العقاد، وتلك مقاهي العالم العربي، وتحديدًا في دول الشمال العربي، إذ كانت لهذا المقاهي دور كبير ومهم في نشر الوعي الاجتماعي والثقافي الذي تمظهر فيما بعد في الكتابات الإبداعية عامة، والخطب السياسية ضد الدول الاستعمارية، والخطب الدينية، فضلاً عن دور الحكواتي آنذاك بشكل أخص.

د. فهد حسين

يقع الكاتب الشاب بين الإخلاص للماضي كله، وموروثاته، وبين التذبذب في الإخلاص، أي أنه لا يستطيع تقديم رؤية صافية المعالم في نصه

وبما أن التنوير في الأدب عامة وفي الحياة والمجتمع يدخل في سياقات جدلية وثنائية ضدية، أي التنوير الذي يراه هذا المرء صحيحًا، يراه آخر غير صحيح، وأكان تحليل مفهوم التنوير يكون في دائرة التأويل الذي نحتاجه حقيقة لتأويل قضايانا المجتمعية، أو لقضايا فكرية أو فلسفية أو ثقافية، أو أدبية، أو لقيم ومفاهيم ومبادئ، وكأن التأويل هو التنوير، والتنوير هو التأويل، وهكذا تتم العملية التي تسعى مفاصلها إلى الكشف وإزالة الإبهام، وفتح كوة أفق في جدار الانغلاق، الأمر الذي يتطلب مناخًا من الحرية المسئولة لوجود هذا التنوير، فالتنوير والحرية المسئولة صنوان لا يمكن أن يتفرقا.

وكما يعرف المتابع للمشهد الأدبي والثقافي البحرينيين في بداية الثمانينيات حين برزت الحوارات والمقالات والبيانات التي تتناول الكتابة والفن إن كان من أجل الحياة أو من أجل الفن، ففي الوقت الذي كنا نرى هذه المقالات على الصحافة المحلية ضمن السجال والحراك الأدبي شكل من أشكال الحوار والمناظرة في المفهوم، وكيفية التعامل معه، فإنها أسهمت في وعي القارئ بأهمية الكتابة، ودورها في المجتمع وعلاقتها بالفن، وأهمية الالتزام بالنسبة للكاتب تجاه النص الإبداعي وقضايا المجتمع والقارئ، وأي تلك الزوايا والبؤر التي يضعها التنوير أمام القارئ لكي يطرح عليها أسئلتها، وهذا ما يعني أن كتاب ومبدعي تلك المرحلة يحملون هم المجتمع وقضاياه، ولديهم رؤية تجاه ماضيهم، وواقعهم، ومستقبلهم، لذلك كانت نصوصهم مهما كانت المناداة في اتجاه الفن أو في اتجاه الحياة، فهي تتضمن بل مشحونة بالرمز المفضي إلى الواقع، ونقده وما يحمله من تناقضات، وكيفية السيرورة فيه.

ولكن لو عملنا مسحًا دقيقًا لإصدارات المبدعين في السنوات العشرين الماضية، وبالأخص الشباب، هل نجد فيها مسحات وإشارات تنويرية؟ أم المجتمع لم يعد بحاجة إلى التنوير في وجود الشبكة العنكبوتية، وتحويل العالم إلى قرية كونية؟ أم أن هؤلاء الكتاب ليسوا مشغولين بالمفاهيم والمصطلحات والمبادئ التنويرية نفسها، بقدر همهم وتطلعاتهم محصورة في الكتابة فحسب، وطرح بعض قضايا المجتمع العادية والسطحية التي نقرأها في العديد من الكتابات والنصوص المحلية والخارجية؟ أم هو نقص في وعي الكاتب بدوره الإبداعي تجاه الوطن وقضايا المجتمع؟ أم أن الاهتمام منصب على كتابة الإثارة وليست القضية.

ومن خلال التواصل المباشر مع النص السردي البحريني (قصة ورواية)، لم أجد بين كتاب هذا النوع منهجًا أدبيًا أو مدرسة أدبية واحدة تجمعهم، أو يتكئون عليها في أثناء كتاباتهم الإبداعية، وإنما التباين بينهم في ذلك، ولكن بحكم التأثير والاطلاع وبالأخص أجيال القرن العشرين، فهؤلاء لا شك قد قرأوا الأدب العربي عامة ونهلوا من قديمه وحديثه، كما نهلوا من الآداب الأجنبية، فهناك من جعل المدرسة الأدبية الروسية مرجعية له، كما هو واضح عند عبدالله خليفة، وهناك من تنوعت مرجعياته الأجنبية مثل: محمد عبدالملك، وهناك من جعل الأدب اللاتيني متكأ له، مثل: فريد رمضان، أما جيل الألفية الثالثة - وهنا لا أعني الكل ولا أعمم - هذا الجيل من الكتاب عندنا في البحرين مصاب بعدم الوضوح في رؤيته، والأهداف التي يرمي إليها، إذ يقع هذا الشاب في المنتصف، بين الامتداد التاريخي والماضي وللموروثات، والتسليم بها كليًا من دون التفكير في مدى توافقها والمرحلة الراهنة، ومدى صلاحياتها لحياة وزمن مختلفين، ولهما معطياتهما وتطلعاتهما، وبين تلك الظواهر والحالات التي تتسرب إليه من خلال اللقاءات الثقافية والحوارات الأدبية، وبعض القراءات، والندوات التي تتصف بالعلمية والتفكير الناقد المؤمن بالعقلنة والتجريب، وعدم التسليم بكل شيء دون فحصه ودراسته.

وهنا يقع الكاتب الشاب بين الإخلاص للماضي كله، وموروثاته، وبين التذبذب في الإخلاص، أي أنه لا يستطيع تقديم رؤية صافية المعالم في نصه، وربما لاعتقاده أن الماضي وتركته هو الفعل الحقيقي القادر على حل كل الأزمات، وهو المعول الذي يحفر في الحاضر ليبني المستقبل، وطالما هذه

عبدالله خليفة

فريد رمضان

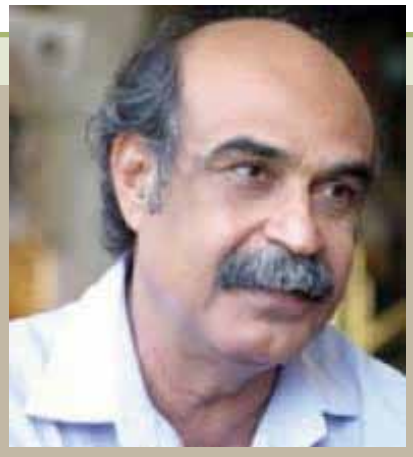
قاسم حداد

محمد عبدالملك

هي المعضلة التي يقع فيها، فلن يتمكن من دخول عالم التنوير الذي يعتمد في الأصل على العقل وعلمية التسليم، فضلاً عن أن هذا الجيل – بحسب تصوري – لم يستطع صنع قارئ متحفز، ينتظر النتاج الأدبي الذي ينبغي أن يتلقاه بين الحين والآخر، وإنما الذي صنع القارئ وللأسف إنه قارئ سلبي، فما يقرأه لا تسهم في تنمية وعيه فكره وقدراته، إذ قامت بدلاً من الكاتب دور النشر المنتشرة حاليًا بين منطقة الخليج المهتمة بالكسب المادي من النتاج، وليس قيمة النتاج، وإذا كتب آلان دونو كتابه الذي أخذ شهرة عالمية (نظام التفاهة)، فأعتقد بعد سنوات قليلة سنجد ما يشابه هذا، سنجد نص التفاهة، وتفاهة النص، وقارئ التفاهة للأسف، والسبب عدم وجود فكر يتجول في فضائه الكاتب الشاب، ولا رؤية تجاه المجتمع والفرد والحياة.

وهنا لابد من التفريق بين الثقافة التي نستقيها ونتلقاها شفاهية، أو كما يطلق عليها بـ (ثقافة الشارع) تلك الثقافة التي يتداولها الناس عامة، وربما التسليم بها من دون التأمل في مفرداتها ومضامينها، وهي غالبًا ما تكون ثقافة مسطحة خالية من البرهان والعلمية والعمق، وبين الثقافة المعتمدة على العلمية التي عادة نستقيها من المصادر والمراجع المدونة، ومن خلال الحوارات العلمية الجادة، والموضوعية الهادفة، وطالما نحمل بين جوانحنا العقل فلابد من تحكيمه في النقل والتقبل والتسليم، إذ لا ينبغي الإذعان إلى قشور الأفكار والتطلعات، وإنما إلى جوهر الأشياء والأفكار وعمقها، فهذا يأخذنا إلى بناء حضاري، وثقافة رصينة متماسكة، صلبة الجذور، قوية الفروع، الأمر الذي يتطلب منا جميعًا، ومن يتكئ على ثقافة الشارع تحديدًا أن نتحرر من الداخل قبل كل شيء، نحاول مناقشة قناعاتنا التي تجذرت في عقولنا، وبخاصة بعض الموروثات والخزعبلات التي يراها البعض وكأنها من صلب حضارتنا وثقافتنا.

وإذا أرجعنا كل هذا إلى الوعي الثقافي والفكري ومعرفة الكاتب بدور الأدب في المجتمع، فإن هذا يرجعنا إلى مسألة جد مهمة وهي المتعلقة بالمعلم نفسه. فالمعلم الذي يعلّم الطلبة الدروس طوال العام الدراسي، ويكرر ذلك كل عام، وهو في الأصل لم يفتح كتابًا أو يطّلع على بحث هنا أو هناك يخص مادته، فإنه مع مرور الوقت لا يختلف عن بقية طلبته عدا عمره الزمني. كذلك كتاب النصوص الإبداعية، إذ ربما هذا الكلام يزعل البعض، ولكن هي الحقيقة الظاهرة ظهور تعاقب الليل والنهار، بل من يسجن نفسه في قراءة مجال إبداعه فقط، أي إن كان شاعرًا لا يقرأ إلا الشعر، وإن كان قاصًا لا يقرأ ألا القصص، وإن كان روائيًا لا يقرأ إلا الروايات، بهذا يكون الكاتب هنا (المبدع) مكررًا لكل هذه القراءات في نص واحد أو عدة نصوص، ولكن حين يخرج من هذا السجن ويدخل في حقول أخرى قراءة وتأملا ومناقشة بين النص الاجتماعي والنص السياسي، والنص الفكري والنص التاريخي والنص التراثي وهكذا، فلا شك تتكون عنده حصيلة معرفية كبيرة وواسعة بالإضافة إلى قراءاته في مجال حقله الإبداعي، فينتج نصًا إبداعيًا رائعًا وعميقًا وملفتًا لأنظار القراء والنقاد والآخرين.

ولدينا من الأدلة التي تكشف أهمية القراءة وعمق الأفكار، إذ حاول أدونيس في كتابه (الكتاب) إعادة قراءة المتنبي ليس بوصفه شاعرًا بل بوصفه إنسانًا مبدعًا له مشروعه الإبداعي والأدبي، وكذلك قام كمال أبو ديب بالشيء نفسه حين أصدر كتابًا بعنون (عذابات المتنبي في صحبة كمال أبو ديب)، وكتب قاسم حداد في هذا السياق نفسه كتابه (طرفة بن الوردة)، وعبدالله خليفة أخذ من التراث الإسلامي، وأنتج عددًا من الأعمال الروائية، والفكرية، إذن نحن مع النص الإبداعي البحريني الذي يتطلع إلى بناء جسور بين الأجناس الأدبية والحقول المعرفية، كما يتعاطى مع النص القديم والتراثي بروح نقدية صادقة وليس بحالة من الانقطاع، أي لا ينبغي تجاهل الماضي، وإنما دراسته في سياق واقعه الاجتماعي والتاريخي والثقافي، أي من لا يتواصل مع تراثه كيف يتمكن العيش في حاضره ثقافيًا، وكيف له استشراف المستقبل.

ومع الحديث عن التنوير في الأدبي البحريني الذي يشكل العتبة المثلى، ربما يتساءل المرء، هل التنوير محصور في الأدب أم هناك حقول أخرى ومجالات غير الأدب في البحرين أسهمت في عملية التنوير؟ لا شك أن الثقافة عامة في البحرين لها إسهامات كثيرة في التنوير، سواء أكان ذلك عبر الحراك الاجتماعي والتوعوي تجاه قضايا الإنسان الذي قادته مجموعة من أفراد المجتمع منذ عشرينيات القرن الماضي، أم من خلال الكتابات التي نشرت عبر السنين حتى يومنا هذا، بل لم يعد الكاتب الآن معنيًا بوضع العلامات الكاشفة لرؤيته تجاه التغيير والتنوير والتحديث والوعي بشتى مجالات، فالقارئ الحصيف يعي تمامًا تلك البوصلة التي تسيّر هذه الكتابة أو تلك.

وبعيدًا عن النص الأدبي أو الثقافي، فهناك مؤسسات بحرينية أدت دورًا تنويريًا منذ النصف الأول من القرن العشرين، مثل الأندية الأدبية، والأندية الرياضة والثقافية في المدن والقرى، ثم لحقت بذلك الجمعيات النسائية بدءًا من الخمسينيات، وإن كان دورها محصورًا في عالم المرأة الاجتماعي والتعليمي والصحي والأسري، فإن توعية ذلك هو بمثابة تنوير المجتمع عامة، والمرأة بشكل خاص لدورها الذاتي، والمجتمعي الخاص والعام.

ويبقي القول: هل يمكن لنا تنوير المجتمع من خلال كتاباتنا المؤجلة أم عبر تلك الكتابات الخارجة من جلباب الثقافة والعلم والمعرفة بعيدًا عن الإيديولوجيات؟ سؤال يبقى مطروحًا في الوسط الثقافي والأدبي.

في رحاب الذكرى 110 لولادة عبد الرحمن المعاودة (1)

سيرة التنوير والمسرح والشعر

كريم رضي

«وكثيرا ما يأتي اسم المعاودة في أية محاولة للتأريخ للبدايات التعليمية والنوادي الثقافية في البحرين في النصف الأول من القرن العشرين، إلا أننا لا نكاد نظفر باهتمام موسع ومركز خاص بتجربة المعاودة الشعرية أو التعليمية بالقدر الذي يتناسب مع ما أثار في حياته من ضجيج» كمال الذيب – كتاب (مساءلات في الثقافة البحرينية ٢٠١٥).

لماذا نستذكر الشاعر عبد الرحمن المعاودة في الذكرى العاشرة بعد المائة لولادته في عام 1911؟. ثمة ديّن على الحركة الأدبية والثقافية، بل على حركة التحديث في البحرين، عامة أن تؤديه لهذا الشاعر البحريني الذي يمثل جيل التأسيس للشعر البحريني المعاصروالتعليم والتنوير.

لما احتفلت أسرة الأدباء والبحرين عامة في عام 2008 بمئوية الشاعر الرائد الآخر إبراهيم العريض الذي ولد في عام 1908، كان ينقص هذا الاحتفال أن نستكمله بمئوية الشاعرالرائد الآخر، أي عبد الرحمن المعاودة.

والشاعران رائدان مهمان ملهمان لتجربة الشعر الحديث. فإن كان العريض قد أسس في تجربة الشعر البحريني المعاصر لبنية الإيقاع الجديد (الشعر الحر أو قصيدة التفعيلة)، ففي تأسيس بنية المضمون الوطني والتنويري والواقعي المعبر عن آمال وآلام الناس يعود فضل الريادة إلى المعاودة.

لكن مجريات العام الموافق لمئويته أي 2011 لم تتح لنا القيام بذلك أسوة بما قمنا به لرفيقه الشاعر العريض، وظلّ هذا الدّين علينا نسعى إلى الوفاء به ما أمكن، وها نحن وقد بدأ العام 2021 حيث يبلغ الشاعر في سماواته العلى السنة العاشرة بعد المائة من ولادته، نجدها فرصة لنعرّف أجيال الشعر الحديث خاصة الجيل الأكثر جدة في العمر والتجربة بهذا الشاعر.

أولاً: السيرة الشخصية الذاتية

ولد الشاعر البحريني الكبيرعبدالرحمن المعاودة في المحرق في العام 1911، الذي صادف هجرياً الأول من شوال، أي يوم عيد الفطر.

بعد أن تعلّم في المطوع شأن كل فتيان تلك الأيام في السابعة من عمره، التحق بمدرسة الهداية الخليفية في عام 1921 حيث بلغ عمره العاشرة. وكانت المدرسة يومها في مبنى مؤقت يعود إلى أحد الأهالي. (مجلة كلمات – العدد الثالث – أسرة الأدباء والكتاب)

في عام 1928 أرسل المعاودة في بعثة طلابية إلى الجامعة الأميركية في بيروت مع مجموعة من الطلبة لدراسة ما يعتبر المرحلة الثانوية هناك، من بينهم أحمد العمران الذي سيصبح مديرا للمعارف (بمثابة وزارة التربية) لاحقاً، لكنه أعيد بقرار من السلطات البريطانية عقاباً على مواقفه الوطنية، ولأنه شارك في إضراب قام به الطلبة البحرينيون في بيروت تنديدا بقرار السلطات البريطانية استبعاد عدد من الأساتذة البحرينيين والوافدين من العرب من السلك التعليمي وترحيلهم بسبب مواقفهم القومية، وهذا يعني أن وقف مواصلته الدراسة في بيروت كان في 1930. كما جاء الإضراب احتجاجا على تعيين السلطات البريطانية شخصية من الموالين لها اسمه فائق أدهم مشرفاً على المناهج المدرسية في البحرين، وكان هذا قد وضع سقفا للتعليم بألا يتجاوز الابتدائية لتكريس استمرار الجهل في أوساط البحرينيين.

ولا ننسى هنا التذكير بأن الشاعر نفسه قد تأثر أثناء تعليمه في الهداية الخليفية بمجموعة من الأساتذة ذوي النزعة القومية أمثال عثمان الحوراني، عبد العزيز العتيقي، محمد الفراتي، عبد الرحمن اليماني. (عبد الله المدني – جريدة الأيام – 25 ديسمبر 2015).

ثانياً: المعاودة والتعليم

بعد عودته من بيروت عمل المعاودة مدرساً في مدرسة الحدّ الإبتدائية، ولكنه كأي مثقف طليعي وشاعر متمرد في ذاته، ثم أضافت إليه بيروت وهجاً من ضوءها، تجاوز دوره كمجرد مدرس إلى محاولة إصلاح المنهج الدراسي من خلال وظيفته، وخاصة في مادة التاريخ الإسلامي التي كان يستثمرها لبث الروح الوطنية والدينية الصحيحة. لم يكن المعاودة مدرساً بل كان معلماً والفرق بين المسميين ليس فرقاً في اللغة بل في جوهر ما يقوم به من يمسك بهذه المهمة.

يقول المعاودة: «التعليم كان وقتها بسيطاً. والطلاب وقتها شعلة من الحماسة والوطنية. وأذكر من زملاء الدراسة عبد العزيز الشملان وحمد بن عبد الله الخليفة وكمال المهزع وأحمد العمران وراشد الزياني وغيرهم. بعد ذلك وفي بيروت، تفتح عقلي على عوالم جديدة وتشبّع عقلي بالأفكار التنويرية ولذلك عند عودتي إلى البحرين، بدأ الصدام مع الجمود والتقليد فعملتُ مدرسا في مدرسة ابتدائية مدة شهر واحد وثرتُ على الوضع وخرجت. كان التعليم يقوم على الحفظ والتكرار ورفضتُ أن أساهم في تدريس التجهيل". (كتاب مساءلات في الثقافة البحرينية – كمال الذيب).

ولنلاحظ هنا هذا الجمع بين (التدريس / التجهيل) في عبارة واحدة في ذكاء لغوي يكشف عن فهم يكاد يكون بالسليقة لدى الشاعر لدسائس اللغة ومراوغاتها وكأننا في رواية 1984، التي فيها يقول جورج أورويل: (السلام يعني الحرب والمعرفة تعني الجهل).

يقول المعاودة: "رفعتُ تقريرا إلى مدير المعارف بتطوير التعليم والمنهج وتأكيد العروبة والتنوير والتقدّم والوطنية وكان مدير التعليم عميلا للإنجليز واسمه فائق أدهم." (كتاب مساءلات في الثقافة البحرينية – كمال الذيب).

ولا نعرف في الحقيقة هنا لماذا يستخدم المعاودة مسمى مدير المعارف لفائق أدهم، أم هو نقل غير دقيق من الذي أجرى اللقاء، لأنه بحسب مصادر أخرى كان هذا مسؤولاً عن المناهج وقتها، أما المدير فهو شخص آخر.

استمرت محاولات المعاودة في إصلاح التعليم غير أنه اصطدم بفائق أدهم فرفع أمره إلى السلطات التي ناشدت المعاودة الكف عن محاولاته تلك، ففضل الإستقالة من عمله الذي لم يكد يكمل فيه شهراً واحداً مفضلاً عدم القبول بأية وظيفة حكومية.

قام المعاودة في عام 1935، وبعد أن ظلّ بلا عمل لفترة طويلة، بافتتاح مدرسة أهلية وجعل مقرّها في أحد بيوت أهالي المحرق وأطلق المعاودة على المدرسة إسم مدرسة الإصلاح الأهلية في إشارة واضحة منه أنه يواجه المنهج الذي يريده الإنجليز بمنهج إصلاحي يريده هو.. (مجلة كلمات – العدد الثالث – أسرة الأدباء والكتاب – 1984).

ولنلاحظ هنا ظاهرة استخدام البيوت لإنشاء المدارس والمؤسسات من تعليمية وأدبية وفنية وثقافية وتجمعات وأندية شبابية في تلك الفترة ولاحقاً، بما فيها حتى بعض المؤسسات الثقافية القائمة اليوم من جمعيات ومسارح أنشئت في تلك الفترة في ظاهرة تنبهنا إلى أن المؤسسة الأهلية تقوم أساساً على الولع الإنساني بالخلق، ويكون مكانها أشبه بالافتراضي، إذا صحّ التعبير فهي مؤسسة قائمة في قلوب مؤسسيها وحضن أي مكان مؤقت ريثما تسمح الأيام بوجود مقر.

لم يكن المكان يوماً عائقاً أمام صناعة التاريخ، إذا ما توفر لتلك الصناعة من يملك أهم رصيد في هذا الطريق وهو الشغف. في الحقيقة ستكون جدلية الإنسان والمكان وتحرره من عبء المكان ليكون صانعاً تاريخه هي جدلية حياة وموت المعاودة نفسه كما سيعلق قاسم حداد على وفاته.

ومع ذلك وإمعاناً في إيصال رسالته حتى إلى خصومه كان المعاودة لا يستنكف من دعوة خصومه بما فيهم المعتمد الإنجليزي لحضور المسرحيات التي يعرضها في مدرسته، وبالطبع لم يكن يستجيب إلى دعوته. ويقول المعاودة لم يكن المعتمد يتدخل لكنه كان بادي الامتعاض مما أقوم به. (عبد الله المدني – جريدة الأيام – 25 ديسمبر 2015) –

"يتبع"

فنجان قهـــــوة

لونه كحبة قهوة ورائحة كلامه كلون الليل، ينسج بيارق الألم وهو يكلمني، غافلته ورسمت ابتسامة رقيقة على شفتي، كانت رسالة بريئة ودعوة مفرطة لترك هذا الألم، غافلني وقهقه بصوت حزين، ضحكت وتناثر صوت ضحكاتنا في أرجاء ذلك المقهى، اغرورقت عيناه بالدموع من شدة الضحك لكنه صمت مرة أخرى وراح يهلوس ويتمتم بكلمات مبهمة.

فاطمة محسن

ماتت وغادرت أرضا تحمل لها النوارس وتزرع ياسمين الحلم على عنقها، كانت رقيقة، ناعمة، مخلصة تصوري ماتت على يدي، بين أحضاني وهي تُسمعني اعترافات حب مزقه الصمت: أنت من أحببت دائما، كنت هنا وتشير لقلبها تسكن حناياه بهدوء لم تكن كالآخرين، تحب في هدوء ويقين لا طمع في مال ولا جسد، وكنت أنثر حولك نظرات مليئة بالحب والعطف، لم أكن أستطيع أن أبثك حبي أنت بالذات، لا أستطيع أن أبثك هذا الحب إلا وأنا على هذا الفراش، أحببتك دائماً. أخذت يديّ واحتضنتهما بين دموعها، كانت تلوم هذا القدر الذي يجعل منا طبقات، قبلتني ونامت، نامت كملاك يحرس قلبي وبقت على حراسته حتى اليوم، لا يمكن لأنثى أن تفك هذه القيود وتزيح حراستها. كيف يمكن أن أحتمل؟ مرت السنون وأنا أذكر نظرتها وأحقد على المرض والطبقات.

كان يتكلم وهو ينخر في قلبي ذكرى لا تندمل جراحها: أيها الموت ماذا لو أعطيتني قليلا من الوقت لأراه؟ كان يرفل في الحب، وكنت متيمة، وكانت المسافة تخرق القلب، والبعد لا يصنع إلا قربا أتنفسه ويعيش على هوائي، نقتات بكلمات رسائلنا ونثرثر بأيام اللقاء القليلة، نشرب ذكرياتنا مرا وعسلا، وكان المرض ينهش كليتيه، كان يكابر كي لا أعرف ولم أعرف ولكنني كنت في شك دائم. هناك أمر ما تركني وترك الشك يساورني، كان يهدف أن أكرهه وأحقد عليه وكنت في شك من أن ينساني، كانت الصديقات المقربات يعلمن وكنت أردد لهن لماذا يتركني؟ وتمر الأيام متشابهة سلاحف تجر ثوانيها، ومازال حبه يغرد بصمت.

داخلي هاتف لا ينفك يتطوح مع أنفاسي ينادي باسمه كصدى الليالي الباردة في كهوف الوحدة، كيف يحرك نرجسات العشق بداخلي وهو الذي خذلني وتركني فريسة لوحوش الظنون تقتات من قلبي؟ لماذا لا أكرهه؟ لماذا هذه الذكرى تحاصرني وتشد قيودها وتترك آثارها على معصم القلب وتغلفه بحزن قاتل؟ لماذا لا يتناغم قلبي مع غيره وهو المخادع في نظري، ولكن هيهات، للقلب حس صادق، وشهقات الحب مازالت تصلني عبر ابتكارنا الخرافي "ناديني فقط حين يضيق بك الوقت سأنفلت من المكان وأرسل محطات قلبي لتستريحي عليها" وأناديه وكان يحضر متعبا يملأ القلب بصليل لا يهدأ، كانت الصدفة وحدها التي أخبرتني أن هناك خطبًا حين رأيته كان هزيلاً. رميت بجسدي المثقل بالهم والحب عليه. ذكرني حينها أننا في الشارع سألته عن صحته ولما هو هزيل، ضحك وقال: العمل كثير، كنا نودع صديقاً مشتركا ولم أره بعدها إلا بعد معرفتي بمرضه.

أمـه من أخبرتني حين اتصلت بحجة واهية أطلب المساعدة بما أني غريبة عن بلدي. قالت: "يا عيني عليه هو بالمستشفى مريض.. ألا تعلمين؟ تكلمت كثيرا لا أعرف كيف انتهت المكالمة ولا كيف عدت لبيت صديقتي التي تستضيفني كل ما أعرفه أني تمرغت على أرض الألم أصرخ بجنون وعتب لصديقتي لما لم تخبروني؟ والتقيته كان لقاء الوداع ودعته قبل أن يسافر لأحدى الدول طلبا للعلاج.

عدت لبلدي وكان الهاتف هو همزة الوصل، إلى أن كان ذاك اليوم اتصلت فيه للاطمئنان على صحته، وكنت أغالب حلم فسره أحد الأصدقاء بما لا أرغب، كلمني أخوه بعد سلام قصير (.....)، هل يمزح؟ ماذا يقول؟ كيف أتصرف؟ لمن ألجأ؟ كل دموع الدنيا لا تشفي غليلي كل الحزن يتواضع أمام حزني، هو هناك في البلاد البعيدة وأنا أغالب وجعي، هل أبتر الحزن ودموعي؟ أبتر روحي؟ وأكمل لك حكاية قلب حين غادر الحب كيف استحال رمادا.

من أجل حزنك اختصرت كل الحزن، لم أذكر التفاصيل الموجعة وتغاضيت عن مشاعري، من أجل حزنك نفيت روحي لبلاد الصمت ومزقت ذكرياتي على فنجان قهوتك، حين زرته كان شاهداً واسماً. صمت كثيراً قبل أن يطلب فنجان قهوة أخرى ويطلب مني أن أحتسي الحزن وألم الفقد.

برزخهم

حكاية قديمة تتجدد بصور مختلفة في كل زمان: "قبر الولي الصالح"، هذا المكان الذي يمتلئ بأصحاب الحاجة، المؤمنين بالوصول للشعور بالطمأنينة، شفاء الأرواح المنهكة الذي لا يهتم معظم القادمين إليه بالسؤال عن أصل الحكاية؛ قدسية/ خصوصية/ إرث اجتماعي/ مفهوم ديني، فكرة تعمقت عبر الوقت، سمّها ما شئت، فكل التبريرات مقبولة لأنها تقع ضمن نطاق المعتقدات غير القابلة للمناقشة – خصوصاً الدينية –، جدل عقيم لا يفضي إلا للمشاحنات والتوتر، ولن يستفيد أحد من تغيير قناعات إيمانية لشخص آخر على الإطلاق، ما عدا نزعة الانتصار الداخلية التي يشعر بها بعض المتشددين! فالممارسات الدينية خاصة بالفرد وحده فقط، ولا أحد غيره.

زهراء المنصور

ولا يُعدّ موضوع قبور الأولياء في البلاد العربية أمراً مستنكراً أو غير مألوف، مهما بدا هذا الأمر غير منطقي للعقلانيين. فهو ملاذ للقادمين متوسلي الرحمة، دافعهم الضعف الإنساني الـذي يجعل من الإيمـان بالخوارق والمعجزات باباً كبيراً للأمل والنجاة، مثلما يلجأ بعض الراشدين – بدون مقارنة–في غفلة من الوقت إلى مشعوذ/ قارئ كف أو فنجان يرشدهم أو يعلمهم عن الماضي والمستقبل. شعرة تفصل بين الإثنين مثل ما قال عبقري السينما المصرية أحمد زكي في فيلمه الشهير "البيضة والحجر": "الضعف ما بيفرقش بين جاهل ومتعلم!". هي طبيعة النفس البشرية التي تمر بانكسارات، أو تعيش انهزامية، دون البحث عن الأسباب الحقيقية. وبعيداً عن التشدد الذي يصل للتحريم عند البعض، لا يتوقف الناس في مختلف بقاع الأرض عن إنشاء وتمجيد هذه الأماكن – غير المعروفة والواضحة تاريخياً تحديداً – ومن ثم توافد العامة للتبرك. وللتذكير؛ فإنها عادة لن تنقطع مادامت الحياة ومادامت هذه "العقيدة الحياتية".

في "قبر الولي" للكاتب المسرحي الإماراتي جمال مطر، استخدم هذه الفكرة؛ حيث تناول النص الثيمة العامة لقصة المثل الشعبي "دافنينه سوا": صديقان يمتلكان حماراً يستعينان به لقضاء الحوائج، ومات "أبو الصبر"، كما كانا يسميانه من ثقل الحمل عليه، فحزنا عليه حزناً شديداً، حتى أنهما قاما بدفنه بشكل لائق، لفت نظر العابرين الذين سألوا عن الميت، وتأتيهم الإجابة بأنه أبو الصبر، ليظن الآخرون أنه ولي صالح! فتنهال عليه التبرعات التي تتضرع أن تلبى أمنياتها وحاجاتها. وهكذا ظلّ الصديقان في عيش رغيد من جراء هذا الكسب غير المتوقع، حتى اختلفا يوماً ما على اقتسام الهبات والتبرعات، فأشار أحدهما أن مقام سيدي أبو الصبر سيأتيه بحقه! ليجيبه الآخر: "احنا دافنينه سوا!"، وهذا المثل يستخدم في السر بين اثنين، لا يعرفه غيرهما.

لذا يبدو أن ما قام به مطر ليست فكرة جديدة، لكنه عمّق لمفاهيم ومعانٍ مرتبطة بالبيئة، والمكان، ووزن الأشخاص في مجتمعاتهم. فهذان غريبان قررا المجيء إلى القرية القاحلة لبيع الماء بسعر مضاعف للسعر الحقيقي، ممنياً "يوعان" نفسه، ومرافقه وابن أخته "عبيدان"، بالأموال التي سيجنيانها من تجارتهما الرابحة. لكن لما مات الحمار من ثقل الماء على جسده، ونزل المطر، قاما بتغيير الخطة حسب الأجواء التي تهيأت أمامهما!

وكما سيناريو قصة المثل الشعبي هو ذاته، ذلك أن عموم الناس مستعدون لتقديس العادي إذا تلاشى أملهم في الواقع، وهذا ما حصل حينما شاءت الصدف أن يتساقط المطر بعد موت "أبو الصبر"، نفس الأفراد الذين هيئوا المكانة والقدسية الوهمية لـ"يوعان" و"عبيدان"، هم من لجأوا لاحقاً لتقديم النذور والتبرعات حتى تقضى حوائجهم! الفرق بين القبور الصامتة وبين ما هو مختلق هنا بالنص –ولازال قائماً في أماكن كثيرة – هي أنها طرحت بركتها وتركت للزمن استمراريتها عبر القائمين عليها، وهو مصطلح مقلق، لأن المقدار غير محسوب، وأموال الناس والتبرعات والهبات تذهب على "هوى" القائمين!

ونستفهم من سياق النص سيكولوجية الطرفين: المحتاجون، وهم كل الأهـالي الذين ظهروا في النص، في رضوخهم غير المبرر لأشخاص لا يبدو أنهم يملكون أية مؤهلات "روحانية"، ولا قدرات خارقة لعلاج العقم، أو رد الغائب، أو فك السحر، ومنطقياً لا يبدو أن هذا يمكن حصوله، ومع ذلك يتآمر الأهالي على تعزيز مكانة "يوعان" ويتبرعون بابتكار شهادات حية، عن قدرة الشيخ على "التفل" في عين أعمى فـ"قام يشوف زين"!(1)، أو حين يمسح بيده "المباركة" على قدم مكسورة، ليقوم الولد بالمشي فوراً، وكلها حكايات تظهر الرغبات الداخلية في أن يكون هذا الكلام صحيحاً ويتحقق مرادهم مهما كان!

أما نفسية الطرف الآخر، التي كشفها مطر، فتكمن في شخصية "التاجر" الحسابية، الذي يحسب كل فرصه في الربح. نموذج "يوعان" لا يخسر، لأنه متحول، ومستفيد من أي وضع حوله! وحتى الحلول التي من المفروض أن يقوم بها لزواره، يأتي دائماً من القدر الذي يتعامد مع رغبة الشخص الشديدة، واستعداد كل طاقات الجسم والعقل نحو الهدف المنشود. فإن تحققت فعلاً، فالخير ينسب لـ"يوعان"، ولو حصل العكس، فإن لذلك مبررات وتفسيرات "إيمانية" أخرى متعلقة بالرضا بالقضاء والقدر.

وتتقاطع هذه الصورة مع مشاهد عرضت في السينما بشكل واضح أكثر من المسرح، ولا ينسى المتابع الضجة التي حصلت بعد عرض فيلم "صاحب المقام" المنتج في 2020 للكاتب إبراهيم عيسى، بين مؤيد ومعارض، إذ يصرّ البطل

على بناء منتجع سياحي بعد هدم "مقام"، لتتوالى النكسات المتلاحقة في حياته، حتى تظهر له "روح" مرشدة لتدله على تلبية الطلبات في مقام آخر، اعتاد رواده الكتابة على شكل رسائل.

ولم تكن هذه المرة الأولى في تاريخ السينما المصرية التي يعرف أهلها بحبهم لآل البيت، وزيارة المقامات للتبرك والدعاء، باعتبارهم أصحاب مكانة عند الله، بل إن أكثر من فيلم تعرض ولو بشكل جزئي لهذه المعتقدات، مثل الطبيب إسماعيل في "قنديل أم هاشم" للروائي يحيى حقي، الذي حارب الجهل في قطرة زيت قنديل المسجد، فحاربه مرضاه، لأنه ببساطة ضد معتقداتهم غير القابلة للنقاش. ولا ينسى المتابع "حادثة" زيارة الست أمينة لمقام الحسين في فيلم بين القصرين لنجيب محفوظ، وغيرها من الدراما التي تظهر القناعة والتسليم الشديدين من قبل فئات البشر بأهمية بركات صاحب المقام، حتى لو كان مختلقاً، كما في نص "قبر الولي".

ومن هذا المنطلق، يجيد "يوعان" تجيير الأمر لصالحه، فيقول إن لله عباداً، متى أرادوا أراد! ويسوق من الآيات الكريمة ما يعتقد أنها مؤثرة في النفس، مثلما استشهد بسورة يونس:" أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ". وهو بذلك ترسيخ لمكانته بينهم، حسب النص القرآني الذي يعني به نفسه! أما التأكيد لكل ما سبق، فهو في تذكيره لمريديه "أن لا ننسى وتشغلنا الدنيا أن للولي حقوقاً وواجبات، لذا وجب أرضاؤه، وهو لا يطمع إلا في القليل من أموالكم، القليل من زرعكم، والقليل من أغنامكم". وأخيراً، لإحكام الخطة بالتأثير والترهيب الخفي لمرضاة الله عن طريقه، يوصيهم بالكتمان، حتى لا تفضح مقدار العطايا التي تصله منهم تحت مبرر "كل يفعل الخير بطريقته وخفية عن الناس"!(2)

واستخدم قبر الولي الأنثى للتضحية بها من أجل استجداء نزول المطر، وهي عادة وجدت في الحضارات القديمة، خصوصاً فيما يتعلق بخصوبة الأرض المرتبطة بنزول المطر، وإعطاء حياة جديدة مستمرة تعيد إحياء الزرع والبشر. ولم يجد أهل المكان ضحية أفضل من "المستضعفة"، المرأة البلماء/الخرساء التي تعاون الجميع على توجيه الاتهام لها، وأنها سبب كل القحط وشبه انقطاع الحياة عن المكان، ومن الواضح أنه تم اختيارها تحديداً لأنها وحيدة، لا تجد من يدافع عنها، وفاقدة للنطق، أي لن تستطيع الدفاع عن نفسها، والسبب الأكبر أنها جميلة إلى حد أن لا ذكر في الحي قاوم جاذبيتها ولم يغازلها. ويفهم القارئ من هذه المقدمة الكاشفة أن سبب إصرار الرجال على ربطها في جذع الشجرة وتركها لمصيرها هو مستوى متأخر بالنسبة لشعور الزوجات/ النساء بوجه عام من الغيرة التي نخرت قلوبهن، حتى دفعوا الرجال/ المجتمع إلى نبذها بهذه الطريقة، وتحميلها أعباء اضطراب الطبيعة، الذي يعبر عن اضطراب هذا المجتمع بالكامل.

واشتغل جمال مطر على مفارقات فاضحة تعكس الخيوط الداخلية للنص، مثل المرأة الخرساء التي لم يحدد لها أي ملمح في توصيف الشخصيات، ماعدا صفة الجمال التي تكشفها الحوارات لاحقاً، صفة مصدر ضعف وقوة الضحية تتهم بها، لكنها تقضي على "يوعان" بنظرة عين! "من شفتها وأنا حالتي جيه جنها ضربتني بعين.. أنا ميهود ومريض، وأحس إني ما بقوم من الفراش بعد هاليوم"(3) ومن دون الإشارة أن المقصودة هي المرأة الخرساء، حتى يكشف النص هذا في نهايته. أيضاً بائع الماء "عبيدان"، لما قرر أهل القرية تكريمهم كضيوف وذبح الذبائح لهم، كان طلبه الأول أن يشرب ماء!

ولن يبدو غريباً وصية "يوعان" أن يرجع "عبيدان" ابن أخته إلى دياره الأصلية، حتى لا يكتشف الأمر حتى بعد وفاته، أو حتى لا يكون المستفيد الوحيد من الخال ذي القدرات "الوهمية"، والوصية الأخرى هي أن يتحكم الحمار بتحديد مكان قبره. واسترجاع سريع لمكانة الحمار في الثقافة العربية سيكون لها مبرر مضاعف، كون البطل مقروناً بحماره، وأيضاً لاختيار الأخير مكان المقام المختلق، أي أن جثة يوعان ستكون جنباً إلى جنب مع الحمار الهالك، حامل الماء! قبر حمار اختاره حمار آخر ليدفن فيه من "استحمر" الناس، مع شديد الاحترام لهذا الحيوان الصبور المقرون بصفات بشعة عن بعض البشر.

نص من القطع الصغير، لا تتجاوز صفحاته 46 صفحة، لكنه يفضح كثيراً من الصفات البشرية التي تحتاج للإفشاء، لعلنا ننتبه لبعض عيوبنا الآدمية، ونصلحها –لو أدركنا مدى بشاعتها– أو نتكأ على أمثال الرجل الذي فتح الباب للوهم وجر المجتمع إلى مجموعة رذائل، قاصداً أو غير قاصد، وأول اسم "يوعان" في إشارة لعدم الشبع، إلى يوعان "جائع" في طلب المعرفة والعلم، وهي الدرجة الأولى للوصول على أكتاف مدلسين وجهلة إلى مكانة لا نستحقها بالفعل.

الهوامش

قبر الولي، جمال مطر، دائرة الثقافة والإعلام، سلسلة المسرح، المسرحيات العربية، دولة الإمارات، الطبعة الأولى 1998م، ص 19
نفس المصدر السابق، ص 29
نفس المصدر السابق ص 43

لا أحد هنا يعرف من أنا

سوسن حسن

الأشياء لا تسقط من السماء جزافاً، كما الأعمال التي نفعلها، فتصبح هويتنا بقدر ما نجسد هويتها. أنا لا أتكلم كثيراً عن مهنة تدريس اللغة الفرنسية، مهنة احترفتها وشغفت بها، لأنها تبدو عادية في أعين البشر، وقد لا تكون عندنا في منطقة الخليج على ذات الدرجة من الأهمية إن قارنتها بوظيفة معلم اللغة الإنجليزية على سبيل المثال. في الحقيقة، دراسة اللغات تمكننا من امتهان ما يتجاوز التعليم في صفوف اللغة، ليشمل التنسيق اللغوي، تنظيم الفعاليات الثقافية، أو حتى اغتناء موهبة الإنصات وحل المشاكل الاجتماعية، ولم لا تلك المتعلقة بسياسات تنظيم الهجرة.

أخذتني هذه المهنة الى عوالم لم أكن أتصور أن ألجها. بعد عامين خبرة في تدريس الفرنسية في البحرين، شددت الرحال مرة أخرى لإكمال دراستي في باريس، فوقعت بين يدي فرصة العمل كمساعدة منسق لغوي في بلدية تابعة لضاحية من ضواحي باريس. اغتنمت الفرصة وبدأت العمل من دون كلل لتصبح أولى مهامي إيجاد دروس لغة فرنسية للمهاجرين الذين أقبلوا من شتى أنحاء العالم ليعيشوا في فرنسا، فوجدت منهم من أتى متصوراً بأن هذا البلد سوف يأخذه في الأحضان ويهديه مستقبلاً أفضل، ومنهم من قدم لأنه لم يملك الخيار بعدما تمّ قتل وتشريد جميع عائلته، ومنهم ومنهم ومنهم... قصص كثيرة لا نراها حتى في الأفلام، لأن أعين من هو أكبر منا سلطة لا تريد أن تنظر لمشاكل الهجرة.

اكتشفت خلال شهور عملي بأن أكثر المهاجرين الذين أعمل لأجلهم "غير شرعيين"، ولا أعرف ان كانت لهذه الصفة شرعيتها، لآن أوروبا لا تستطيع ردّ الضيف إن أتى ولكنها لا تضيفه، بما معناه، بأن من نجح في الدخول لا يضمن بالضرورة حق التمتع بأبسط الحقوق سواه سوى باقي البشر، و قد يتمّ ترحيله ما أن يتم العثور عليه دون أوراق ثبوتية تثبت شرعيته في البقاء. كل ذلك يعتمد على هوية المهاجر ومن أين أتى.

ما علاقة كل هذا بتعلم اللغة ؟ تعلم اللغة في أوروبا، وفي فرنسا تحديداً هو بداية كل شيء. اللغة الفرنسية كلها ولدت فوق حلم سياسي، يقتضي يتوحيد الشعب حول قانون لغوي واحد وطريقة تفكير واحدة تجرده من ثقافاته اللغوية والاجتماعية المتعددة. هذه السياسة خدمت مشاريع الدولة منذ الثورة الفرنسية، وما زالت سارية لتشمل جميع المهاجرين، الذين ان أرادوا البقاء، وجب عليهم توقيع اتفاقية يعاهدون فيها الدولة بالانخراط في المجتمع الفرنسي ونسيان الثقافة الأم أو ركنها جانباً، من أجل تبني ثقافة الدولة المضيفة. لست أمزح بهذا الشأن. يكفي أن أكتب على محرك البحث "القدوم إلى فرنسا" ليأخذني إلى موقع وزارة الداخلية ويعلمني عن "اتفاقية الإشراك الجمهورية" الذي أصبح التوقيع عليه اجبارياً منذ عام 2007، إذ يصبح تعلم اللغة بعد توقيعه شرطاً من شروط نيل حق اللجوء أو الإقامة، وطبعاً حق العمل.

لم أكن لأتحدث عن هذه المهنة و كل ما يحيط بها من تفاصيل لو لم تقع عيني على شريط مصور رسمته وكتبته كولين بيكود، زميلتي في المهنة. كولين التي تدرس الفرنسية في مركز اجتماعي بغرنوبل الواقعة جنوب فرنسا، اكتشفت أن لدى طلابها قصصاً يجب أن تحكى وتنشر بالكلمة والصورة، فتبدأ بتلك التي تسرد قصة الشاب ذبيح الله الأفغاني، الذي هرب من تهديد جماعة طالبان بعدما تمت تصفية أبيه و أخيه، واضطر أن يقضي أياماً في صندوق مركبة مع شلة من الشباب من أجل عبور الحدود، حتى يعثر عليه ويقتل أصحابه أمام ضوء عينيه، ويفعل كل ما في وسعه من أجل النفاد بروحه مشياً على الأقدام والوصول إلى بندرعباس بانتظار رحمة المهربين، الذين من وجهة نظره لا يملكون رحمة ولا يهمهم سوى جمع الأموال من ضحايا النزاعات والحروب.

لا تتوقف كولين فتتابع، بقصة السورية مها وخسارتها لأهلها خلال الحرب، وحكاية الإثيوبية راحل والسريلانكية سوتها التي تفتح لكولين قلبها: "قبل أن آتي الى فرنسا، أخبروني بأن الحياة ستكون أسهل، وأن المرأة هنا حرة، تفعل ما تريد، وبأن الجميع سواسية في الحقوق، ولكن عندما أتيت صعقت وخاب ظني! أذكر بأني جلست سنة كاملة في البيت بسبب عدم قدرتي على الحديث مع أحد" ، وهناك كذلك قصة الإريتري غوليندا وعبوره البحر لتفضيله الموت على البقاء.

لم أكن من هواة الأشرطة المصورة، الا اني اكتشفت لاحقا بأنه فن رائع يمنح فرصة قول الكثير بقليل من الكلمات عن طريق الكاريكاتير وتفاعل الشخصيات مع بعضها البعض. نجد بعضاً من العناوين ما لا نستطيع غضّ البصر عنه، لأنها تشي سريعا بالأهمية فور ملامستها لشخوصنا. كان ذلك الحال مع هذا الشريط المصور التي عنونته كولين: "لا أحد هنا يعرف من أنا» ، معطية من خلال هذا العنوان صوتاً للمنفي والمهاجر، الذي يبقى غريباً مهما طالت فترة بقائه في البلد المضيف.

معلم اللغة ليس كغيره من أعضاء الكادر التعليمي، ليس لأنه ينقل للطالب أداة تواصل وحسب بل لأنه يبني بواسطة اللغة علاقة ثقة قوية، فيصبح أمين أسرار وكوابيس، ومؤتمن حكايات جميلة ودورات حياة كتلك الأنفاق التي لا نهاية لها. أذكر بأن أول قاعدة تعلمتها عندما بدأت مهنة التدريس، هي استقبال طلابي بابتسامة يوم جميل مشمس مهما كانت حالة الطقس، ليصبح صفّ اللغة أكثر اشراقاً وبيئة جميلة للتعلم والتفاعل.

في فرنسا بالذات، عندما تجد أمامك طلاباً عاشوا قصصاً مروعة، يتوجب عليك تذكر مقولة جاك بريفرت: "أعلم أن نسبة من البشر تتقاتل الى حد كبير في كل مكان، ليس ذلك خبراً مفرحاً، ولكن هناك أماكن يتعايش فيها البشر، سأذهب للعثور عليها".

واحة الفكر

لقـاء لينين وكـروبـوتكـن (١ - ٢)

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

[وثق هـذا اللقاء فـلاديمـير بونتش-برويفيتش وهو بولشفي روسي والمساعد الشخصي للينين. نُشر هذا التوثيق في المجلد الثالث من أعمال برويفيتش الكاملة (ذكريات مع لينين 1917–1924). ترجمنا هذا النص الذي أعدّه تد كراوفرد وفرد ويستن عن اللغة الانكليزية].

عقُد اللقاء في 1919، وأظنه كان في أحد الأيام ما بين 8–10 مايو. قرر فلاديمير إيلتش لينين بأن اللقاء سيعقد بعد ساعات عمله في السوفناركوم [مجلس الكوميسارات الشعبي، أعلمني أنه سيأتي بحلول الساعة 5 عصراً. انبأت بيوتر ألكسيفيتش بهذا عبر الهاتف وأرسلتُ له سيارة لتحضره إلينا. حضر لينين قبل كروبوتكن؛ فتحدثتُ معه عن الأعمال المنشورة القديمة للثوريين. قال لينين بإنه حتماً سيجيء اليوم الذي سيكون علينا أن ننشر أعمال الثوريين الروس المهاجرين. في هذه الأثناء كان يتفحص بشكل عابر الكتب في مكتبتي من كتاب إلى آخر، ومر على كتب باكونين وكروبوتكن التي كانت بحوزتي منذ 1905. بعدها بقليل حضر كروبوتكن؛ ذهبت لاستقباله إذ كانت خطواته بطيئة ومتعبة على الدرج. سارع لينين ليستقبله بدوره في الرواق ورحب بكروبوتكن بإبتسامة عريضة. أخذ لينين بذراعه بشكل مهذب ورقيق جداً، ورافقه إلى أن أجلسه على الكرسي، وبعدها جلس في الجهة المقابلة له.

كان كروبوتكن سعيداً وقال: «كم أنا سعيد بهذا اللقاء يا فلاديمير إلتش! قد لا نتفق على كل شيء فيما بيننا، فنحن نختلف في قضايا عدة مثل التنظيم، لكن لنا مثل الأهداف. ما تقوم به أنت ورفاقك باسم الشيوعية يرضيني ويسعد قلبي العجوز جداً. لكنك الآن تُصعب الأمر على التعاونيات، بينما أنا أدعم التعاونيات».

أعلن لينين بصوت عال: «لكننا ندعم التعاونيات كذلك! نحن مجرد معارضونَ لتلك التعاونيات التي سراً تضم الكولاك، وكبار ملاك الأراضي، والتجار، ورأس المال. نريد أن نفضح هذه التعاونيات الزائفة ونسمح لشريحة كبرى من الناس المشاركة في التعاونيات الحقيقية.»

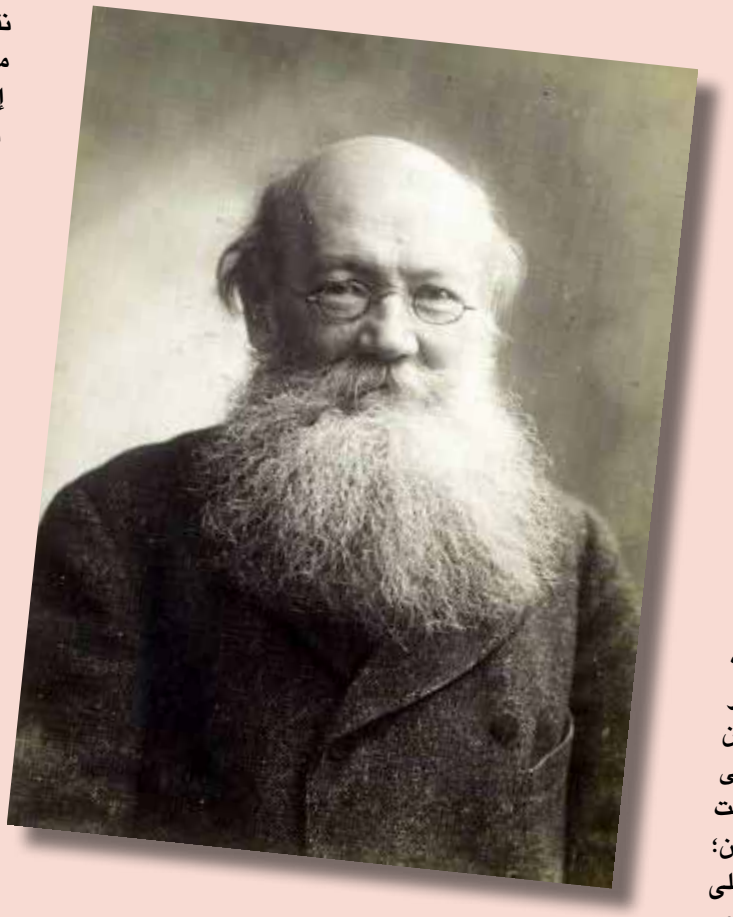

قال كروبوتكن: «أنـا لا اختلف معك في هذه المسألة، وهذه الحالات التي تفضلتَ بالحديث عنها لا بد أن نحاربها بكل وسيلة ممكنة؛ بمثل الطريقة التي يجب علينا محاربة كل شكل من أشكال الكذب والتزييف. لسنا بحاجة إلى أي تزييف، علينا أن نكشف كل كذبة بلا رحمة؛ لكنني في مدينة ديميتروف رأيتُ – وهذا حصل أكثر من مرة – بأن اعضاء التعاونيات تعرضوا للقمع وهم لا ينتمون للحالات التي تحدثتَ عنها للتو. سبب ذلك هو أن السلطات المحلية، ولعل كان اعضاؤها ثوريون في السابق، خضعت للبرقرطة حالها حال كل سلطة، فتحولت إلى سلطة رسمية تتعامل بمنطق الآمر والمأمور.»

لينين: «نحن دائماً ضد الرسمية والسلطوية كما إننا ضد البيروقراطيين والبيروقراطية، وعلينا أن نقوض هذه الأشياء المأساوية ما إذا ظهرت في مجتمعنا الجديد. لكنك من المؤكد تتفهم، بيوتر إلكسيفيتش، بأنه من الصعب جداً تغيير البشر؛ بما إن جمجمة الإنسان – كما قال ماركس قديماً – أكثر القلاع تحصناً! نحن نتخذ كل الإجراءات اللازمة للوقوف ضد هذه الأشياء، وبلا شك تعطينا الحياة الكثير من الدروس. من الواضح بـأن في روسيا نعاني من الأميـة، والجهل، والتخلف ولكن لا يُمكن لأي أحد أن يلومنا كحزب وكدولة، إذ كل هذه الأمور الكريهة في مؤسسات الدولة تحصل بعيداً عنا؛ في عمق الريف، بعيداً عن مركز البلاد».

كروبوتكن: «بـلا شك، لا عـزاء لأولئك الذي يسيئون استعمال السلطة بهذا الشكل الرجعي؛ خصوصاً أن السلطة هي، بحد ذاتها وبشكل عام، سم رهيب يضر كل من يستعمله.»

لينين: «لكن ليس باليد حيلة، لا يُمكنك أن تحـدث ثـورة بقفازات ناعمة. نعلم تماماً بأننا ارتكبنا العديد من الأخطاء الفادحة وحتماً سنرتكب العديد من هكذا اخطاء مستقبلاً؛ صححنا كل شيء قابل للتصحيح، ونعترف تماماً باخطائنا الغبية التي غالباً ما تتكرر. لكن على الرغم من كل هذا، لا زلنا نقود ثورتنا الاشتراكية نحو النجاح. اسألكَ أن تقف معنا وتساعدنا؛ نبهنا كلما نتركب خطاءاً، وتيقن باطمئنان بأننا سندرس ما تقدمه لنا باهتمام بالغ».

\كروبوتكن: «جمعينا سيعمل على مساعدتك ومساعدة رفاقك متى ما كان هذا ممكناً؛ سنعلمكم بكل الأخطاء التي تحصل، هذه الأخطاء التي يتضايق منها الكثيرون في الكثير من الأماكن.»

بعدها بدأ كروبوتكن بالتنظير: «أنتَ تقول بإن لا سبيل لنا إلا السلطة، ولكنني أرى بأنه من الممكن نتقدم من دونها تماماً. أنظر إلى الحركات المضادة للسلطة التي بدأت تشتعل؛ خذ انكلترا مثلاً. هناك – كما علمتُ مؤخراً – أسس عمال السفن في أحد الموانئ تعاونية مذهلة وحرة تماماً، حيث يروح ويجيء العمال من المصانع الأخرى. إن الحركة التعاونية لهي جد مهمة، نعم أنها جوهرية...»

التقدمي

التقدمي العدد 160 ـ مارس 2021 السنة التاسعة عشر SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

كذب أبيض

منى الصفّار

هكذا بدأ الأمر
كقطعة ناتئة
تتلون بكذب أبيض
ثم تلف شاشاً نظيفاً
وتتظاهر بأنها لا تنخر من الداخل
أنا الآن واقفة على سكة الحديد
ثم إن قطاراً ما لابد وأن يمر
قبل أن يتجذر هذا الجرح في الداخل
في جانبي الأيسر
أضع المحفظة
والمحبس
وقليل من الأوراق الملونة الصغيرة بحجم الكف
ثم أتظاهر بأنني لست بحاجة لأن أكتب قصيدة الآن
أنني غارقة في الوهم
في افتعال الأشياء
في التغاضي المرير
ثم إنني أنتظر الآن ورأسي في القطار
أفكر ملياً
كيف ينتحر الناس بهذه الوحشية
وبأنني ربما أتعذب قليلاً عندما تتقطع ذراعاي
وتدهسني العجلات الحديدية
قد أكون تحت وطأة الصدمة أصلا
وأعرف حينها أنني لن أشعر بشئ
إن اللحظة الوحيدة هي تلك التي سأفقد فيها إحساسي
بهذا العالم
ثم سينتهي كل هذا الروع

ليكون مشكلة الآخرين الذين سيتناقلون بشاعة الخبر
أنا لا أشعر بشئ الآن
القطار كان سريعاً جدا
لم يترك ما يكفي ليسمى جثة
إذا أنا أعلم أني لم أترك وجبة كافية للدود
الأمر لا يعنيني حقاً
المهم أن القطار برمته
كان أسرع بكثير
من الكذبة
كان موتاً سريعاً
وأقل بياضاً من جرح غائر
تنمو له جذور وأذرع طويلة
من كذبة بيضاء.